الفصل الأول

التأليف في الأضداد

أسباب التأليف وأهدافه

كان الاستلطاف سببا في ظهور أول كتاب خلص للأضداد، فقد أعلن قطرب في صدر كتابه: "وإنما خصصناه بالإخبار عنه لقلته في كلامهم ولطرافته". وكان لهذا السبب أثره الكبير في الهدف الذى تصبه المؤلفون أمام أعينهم. فقد كان الجمع المستقصى، والشمول التام هدفا لهم، منذ الكتاب الأول أيضا. قال قطرب: "وسنأتى عليه كله إن شاء الله".

وسرعان ما تغير هذا السبب، إذ تحول عند الجيل التالى إلى سبب ديني. قال أبو حاتم السجستاني: "حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئًا كثيرًا، فأوضحنا ما حضر منه، إذ كان يجيء في القرآن الظن يقينا وشكا، والرجاء خوفا وطمعا. وهو مشهور في كلام العرب.. فأردنا أن لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال: ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، الذين يظنون...﴾ مدح الشاكين في لقاء ربهم وإنما المعنى يستيقنون... وأما قوله: ﴿قلتم ما ندرى ما الساعة، إن نظن إلا ظنا﴾ فهؤلاء شكاك كفار".

وتضع هذه العبارة أيدينا على أشياء من التغير عرضت للتأليف في الأضداد غير السبب أيضا. فالأضداد التى اتسمت " بالقلة والطرافة" عند قطرب، صارت عند أبى حاتم "شيئا كثيرا". والهدف الذى كان يطمع في "الإتيان على الأضداد كلها" عند قطرب، تواضع عند أبى حاتم واقتصر على "ما حضر منها". ويدلنا هذا على أن المؤلفات في الأضداد كثرت، واختلفت مادتها، فجعلت أبا حاتم ينظر إليها نظرة تختلف عن المؤلفين السابقين عليه، الذين لم

تكن بين أيديهم كتب تكشف عن قدر المادة، فظنوا أنهم قادرون فى يسر على حصرها واستقصائها.

وتغير السبب مرة أخرى فى الجيل التالى، فصار الدفاع عن اللغة العربية، والرد على مطاعن الشعوبيين، كما نفهم من النص الذى أوردته فى فصل سابق من كتاب ابن الأنبارى، ووصف من رد عليهم "بأهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب".

أما الهدف فعاد كما بدأ مرة أخرى: استيعاب الجمع، غير أن مؤلفى هذا الجيل كانوا يتطلعون إلى هذا الجمع فى ثقة دونها ثقة الأولين، إذ وجدوا بين أيديهم ما ييسر عليهم السبل إلى هدفهم. وكان مفهوم الجمع عندهم مختلفا عن مفهومه عند قطرب. فقد كان هذا يستهدف جمع الأضداد التى فى اللغة العربية أما مؤلفو هذا الجيل فكانوا يستهدفون جمع الأضداد المدونة فيما ألف السابقون عليهم.

وأضاف ابن الأنبارى إلى الجمع أهدافا أخرى تتصل بطريقته فى عرض مادة كتابه: قال[1] : "وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة، وصنفوا فى إحصائها كتبا، نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءا، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها. فرأيت أن أجمعها فى كتابنا هذا على حسب معرفتى ومبلغ علمى ليستغنى كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه. إذ اشتمل على جميع ما فيها، ولم يعدم منه زيادة الفوائد، وحسن البيان، واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد".

ونجد كل هذه الأهداف أو أغلبها عند أبى الطيب، قال[2]: "تحرينا فى تأليفه - بعدما سبق من كتب السلف فى معناه - إحكام تصنيفه، وإحسان ترصيفه، والزيادة على ما ذكر منه، وإلغاء ما خلط من غيره فيه، لتقوى مُنَّة القائلين به، ويضعف قول النافين له".

---

(١) ١٣.

(٢) ١ — ٢.

وجاءت الأجيال التالية، فوجدت أهل القرن الرابع فرغوا من جمع الأضداد المتفرقة في الكتب الكثيرة، ومن تمحيصها ونقدها، ومن جمع الشواهد عليها. وكانت الغايات التعليمية قد غلبت عليهم، فاستهدفوا التيسير على طلابهم، وتمهيد السبل أمامهم ليحفظوا علومهم. فجعلوا من كثير من المواد قوائم عارية. وذلك ما نراه عند ابن الدهان في قوله: "فإنه لما كثرت تصانيف العلماء فيما ورد من الألفاظ المتضادة المعاني من العرب، ورأيت في بعض كتبهم أشياء لا يجب ذكرها، وفي بعضها اختلالا فيما يجب ذكره، ورأيت بعضها مشحونة بالاستشهادات، بأمثلة وأبيات، أحببت أن أجمع ما ورد فيها مختصرا، معرًّى من الاستشهادات".

وانقضت قرون لم تصل إلينا منها كتب في الأضداد، إلى أن كان القرن الثالث عشر آخر قرون التأخر الأدبي، والشغف بالمحسنات اللفظية. فكان تيسير الوصول إلى هذه المحسنات سببا في عودة التأليف في الأضداد. قال السيد عبد الهادي نجا الإبياري صاحب منظومة "دورق الأنداد في نظم أسماء الأضداد" المؤلفة قريبا من عام ١٢٩٧هـ، عما دفعه إلى هذا النوع من التأليف.

أسما الأضداد أسمى ما يعين أديـ ـبا رام تأنيق أو ترنيق ما نظما
بها يحلّى بتجنيس وتورية نظما ونثرا، ويَجْلى الهم والغمما

ونستبين من هذا أن الدافع الذى حمل اللغويين على تدوين الأضداد لم يثبت على مر العصور، بل تغير من جيل إلى آخر. فقد بدأ هواية في القرن الثاني، ثم صار تقوى تحمل على إزالة ما قد يعترى بعض الآيات من غموض في القرن الثالث، ثم تحول إلى رغبة في الدفاع عن العرب ولغتهم أمام الدعاوى الشعوبية في أوائل القرن الرابع، وحب المعرفة المجرد في ذلك القرن أيضا، وانتهى إلى الرغبة في منح الباحثين عن المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة في العصور المتأخرة. وتغير الهدف الذى سعى إليه كل من هؤلاء المؤلفين. فبينما كان أولهم قطرب يسعى إلى استقصاء الأضداد من نهر اللغة مباشرة، استكثر هذا

أبو حاتم ووجد ألا سبيل إليه واقتصر على التطلع إلى جمع ما أمكن. ثم سعى ابن الأنبارى إلى "الجمع"، ولكن من الكتب المؤلفة قبله، وإضافة بعض الشواهد والعلل. وسعى أبو الطيب إلى ذلك، مع التمحيص والنقد. ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا.

بواكير جمع الأضداد

تجلى لنا أن الحديث عن الأضداد بدأ مبكرا فى اللغة العربية، وأن كثيرا من اللغويين الأولين خاضوا فيه. فكان منهم من التقط اللفظ بعد اللفظ، ونبه إلى أنه من الأضداد مثل أبى عمرو. وكان منهم من عقد للألفاظ واحدا من فصول أحد كتبه، مثل ابن قتيبة. وكان منهم من أفرد للأضداد كتابا مستقلا، مثل قطرب.

وأقدم من عثرت على إشارات منه إلى الأضداد الخليل بن أحمد الفراهيدى، المتوفى حوالى سنة ١٧٠هـ، وكان يعد الأضداد " من عجائب الكلام ووسع العربية" [١]. فأشار إلى قدر منها فى كتابه "العين"، غير أن ابن سيده الوحيد ممن عالج الأضداد ونقل واحدا منها عنه، قال فى المخصص [٢]: "صاحب العين: حصباء الحصى: صغارها وكبارها". وكان يجدر به أن يعرف الحصباء بالحصى مجردا، ومهما كان حجمه، كما فعل صاحب القاموس المحيط، فتخرج الكلمة عن الأضداد.

وروى قطرب واحدا من الأضداد عن يونس بن حبيب، المتوفى حوالى ١٨٢ هـ، قال[٣] : "قال يونس: الرَّغوث: التى يرغثها ولدها من الشاء، فصارت فى معنى مرغوثة، والولد أيضا رغوث، والمعنى أنه راغث لها، فصار رغوض للمفعول والفاعل".

---

(١) العين : مادة شعب.

(٢) المخصص ١٣ : ٢٦٦.

(٣) ١٧ . وأورده ابن الأنبارى ٢٤٣، وأبو الطيب ٣٠٨.

كذلك أورد أبو الطيب ضدا آخر منه، قال[1]: "عن يونس قال: سمعت أعرابيا يذكر مصدّقا لهم، فقال في كلامه: فئمقه بعد ما نمقه: أى محاه بعد ما كتبه".

والنص الأخير صريح أن يونس التفت إلى المعنيين المتضادين وفسرهما، إلا أن النص الأول لا يدل بهذه الصراحة على أن الكلام كله عن يونس. فمحتمل أن يكون أورد واحدا من المعنيين وأورد قطرب الآخر.

وروى أبو عبيد في الغريب المصنف ثلاثة أضداد عن الكسائي، المتوفى حوالى ١٨٩هـ أورد أبو حاتم اثنين منهما في المجموعة التى شك فيها، وهما أفاد وأودع. وقد أورد ابن الأنبارى أولهما فقط، وعقب أبو الطيب على ثانيهما بذكر شك أبى حاتم فيه. أما الأول فذكره دون تعليق ولم يورد الثالث منها غير أبى عبيد: "الكسائي: غبيت الكلام، وغبى عنى". وينسب ضد واحد أو ضدان إلى مجموعة أخرى معاصرة من اللغويين مثل أبى محمد يحيى ابن المبارك اليزيدى، المتوفى ٢٠٢هـ، وأبى محمد عبد الله بن سعيد الأموى.

فإذا استثنينا الخليل- بسبب معجمه - لم نجد لغويا من هذا الجيل تروى عنه أضداد كثيرة، وإنما هى كلمات قلائل، ترد عليه عارضة فى أثناء دروسه، فيتنبه إليها فينبه عليها، أولا يتنبه ويكتفى بالتفسير. فتَعْلق فى ذهن أحد التلاميذ ويفطن إلى ما فيها من تضاد فيدونها فى كتابه. ثم تكثر الأضداد عند لغوبى الجيل التالى، على تفاوت بينهم.

فما ينسب إلى الفراء المتوفى فى ٢٠٧هـ يماثل ما نسب إلى الجيل السابق ندرة، لا يتعدى الضد أو الاثنين. قال محمد بن الجهم، عن لفظ (تحنث)[2]: "فسألت الفراء عنه ففكر ساعة، ثم قال: يتحنّث: يتجنب الحِنْث، يقال: قد تحنث الرجل: إذا تجنب الحنث، وإذا أتاه أيضا، كما يقال: قد تأثم إذا أتى المأثم، وإذا تجنبه".

---

(١) ٦٤٩.

(٢) ١١١.

وتكثر الأضداد بعض الشيء عند أبي عمرو الشيباني، المتوفى في ٢٠٦ أو ٢١٠هـ. فقد نسب إليه أبو الطيب ما اقتصر فيه على الأضداد دون شواهد، مثل : [١]"أبو عمرو الشيباني: يقال: قد تياجروا على الطريق: أي تبع بعضهم بعضا على الطريق ويتاجروا عن الطريق، أي عدلوا عنه". ونسب إليه ما أتى فيه بالشواهد، مثل[٢]: "قال أبو عمرو الشيباني: الماثل القائم، والماثل اللاطيء بالأرض. وأنشد: **خلقا كثالثة المحاق الماثل**ه.

وعثرت على مجموعة من الأضداد صرح جامعوها أنهم رووها عن (أبي عمرو)، دون أن يبينوا أيريدون الشيباني أم ابن العلاء. وقد حاولت أن أميز بينها على أساس من المدرسة اللغوية التي تخرّج الراوية فيها، فإذا كان كوفيا كان يروى عن الشيباني، وإذا كان بصريا كان راويا عن ابن العلاء. ولكن المحاولة أخفقت، لأن أكبر كتابين في الأضداد ـ كتابي ابن الأنباري وأبي الطيب ـ من إنتاج كوفيين، ولكن الرجلين أدخلا في كتابيهما كل ما أورده البصريون من الأضداد، فاختلط عندهما التراث البصري والكوفي. وحاولت أن أعتمد على الكتب القديمة في الأضداد. فوجدت الظاهرة نفسها متمثلة فيها. فأضداد الأصمعي نفسه تحتوى على ما ينسب إلى أبي عمرو الشيباني صراحة، مثل الماثل التي أوردتها، ومثل[٣]: "قال أبو عمرو الشيباني: الجلل: الصغير، والجلل: العظيم. ولا أعرف الجلل في معنى العظيم". وحاولت أن أعتمد على ما يشيع بين الناس أن القدماء إذا أرادوا الشيباني ذكروا لقبه لا محالة، ولم يتحروا ذلك مع ابن العلاء، فان قالوا: "أبو عمرو" فقط، كان المراد ابن العلاء، فأخفقت المحاولة أيضا. فقد جاء في أضداد الأصمعي [٤] وابن الطيب: "حكى أبو عمرو: الخجل: المرح. والخجل: الكسل، وأنشد:

---

(١) ٦٨٧ .

(٢) ٦٢٦ . وأورده ابن الأنباري ١٨٤، وابن الدهان ١٩.

(٣) ٦. وأورده ابن الأنباري ٥٢، وابن الدهان ٨، ونسبه أبو الطيب إلى الشيباني أيضا ١٥٠.

(٤) ١٢. وأورده أبو الطيب ٢٥٠. وابن السكيت ٢٨٧.

إذا دعـا الصـارخ غـير متصـل مـرا أمـرتُ كـل منشـور خجـل

مـرا: جمـع مـرة، أراد مـرة بعـد مـرة. منشـورا: أى منتشـرا أمـره". وأورد ابـن السكيت كل هذا ونسبه صراحة إلى الشيبانى.

لهـذه الأسـباب أمـيل إلى أن المـراد بـأبى عمـرو هـنا هـو الشـيبانى. وتكشـف هـذه الأضـداد أن أبـا عمـرو أورد أضـدادا مـن اللغـات العربـية، وأضـدادا مجازيـة، ومـا يندرج تحت صيغة فعول.

ثـم تكـثر الأضـداد وتتنوع عـند أبـى زيـد الأنصـارى، المـتوفى سـنة ٢١٥، وعاصـر التألـيف فـى الأضـداد. فـنجد عـنده مـن الأضـداد مـا لم يستشـهد علـيه، مـثل قـولـه[1]: " يقـال: جمـل سـهو بَـيِّن السـهاوة: إذا كـان بطيـئا، ودابـة سـهوة: خفـيفة سـهلة السـير". ونجـد مـا استشـهد علـيه مـثل[2]: "قـال أبـو زيـد: الشَّـفيف من الأضداد. يكون لهب الحر، ويكون برد الريح. وأنشد فى لهب الحر:

جاءت تشكى لهب الشفيف

وأنشد فى البرد:

فألجأها إلى نارى الشفيف"

وروى مـن الأضـداد مـا قـبله اللغويـون بعـده فـأدخلوه فـى كتـبهم، وروى مـا ضـعّفوه أيضـا مـثل[3]: قـال أبـو زيـد: يقـال: تصـدّق الـرجل يتصـدق تصـدقا: إذا أعطـى صـدقته. قـال: وبعـض العـرب يقولـون: تصـدق يتصـدق: إذا سـأل أن يتصـدق عليه. قال أبو حاتم: والمعروف عند العرب تصدق إذا أعطى الصدقة".

وأورد مـنها مـا يمكـن رد تفسـيره إلى معـنى واحـد لا تضـاد فـيه، مـثل[4]: "قـال أبو زيد الفَلْذ: العطاء القليل والعطاء الكثير. قال الشاعر فى القليل:

---

(١) أبو الطيب ٣٧٨.

(٢) أبو الطيب ٤١٥.

(٣) أبو الطيب ٤٣٧.

(٤) أبو حاتم ٢٤٣ . ابن الأنبارى ٣٤٨. أبو الطيب ٥٥٤.

تَكَفيه فلذةُ لحم إن ألمَّ بها من الشواءِ ويُروِى شربَه الغُمَر

وقال العجاج فى الكثرة:

فلذُ العطاءِ فى السنين البزل

وكان جديرا بأبى زيد أن يعرِّف الفلذ بأنه العطاء مجردا من الوصف بالقليل أو الكثير، فيخرج اللفظ من زمرة الأضداد.

وأورد أضداد المتعلقات. قيل فى أضداد الأصمعى [1]: "قال أبو زيد: طلعت على القوم أطلع طلوعا: إذا غبت عنهم حتى لا يروك. وطلعت عليهم: إذا أقبلت عليهم حتى يروك". وقد خضعت هذه العبارة لبعض التشويه، يكشف عنه قول أبى حاتم: "يقال: طلعت فى الجبل: إذا أقبلت فيه أو أدبرت. وطلعت على صاحبى: أقبلت عليه. وطلعت عنه: أدبرت. والمصدر الطلوع" فالتضاد آتٍ من الحرف لا من الفعل.

وأورد من الأضداد المجازية ما مثاله[2]: "الظعينة: المرأة على البعير، ويجوز أن تكون فى بيتها. قال أبو زيد: الظعائن: الهوادج، وإنما سميت النساء ظعائن لأنهن يكنَّ فيها".

وروى له ضد من أضداد التفاؤل، قيل فى أضداد الأصمعى[3]: "قال أبو زيد: الناهل فى كلام العرب: العطشان، والناهل: الذى قد شرب حتى روى.. وعلق أبو حاتم على هذا القول بقوله: "فإنما قيل للعطشان ناهل على التفؤل، كما يقال: المفازة للمهلكة على التفؤل، ويقال للعطشان: ريان، وللملدوغ: سليم. أى سيسلم وسيروى ونحو ذلك".

---

(١) ٤٩. أبو حاتم ٢٣٤. ابن الأنبارى ٢٠٣ ، ٣٠٩. أبو الطيب ٤٥٨

(٢) الأصمعى ٦٨. ابن السكيت ٣٤٢. ابن الأنبارى ١٠٠.

(٣) ٤٥. أبو حاتم ١٣٥. ابن الأنبارى ٦٥. أبو الطيب ٦٣٧.

وروى له من أضداد اللغات عدة ألفاظ، أمثل لها بقوله[1]: "قيس تجعل من لم يدرك من الصبيان فرطا ولا يقولون للكبار فرطا، وغيرهم يجعلونه واحدا".

ونسب أبو حاتم ضدا لأبى زيد، آت عن اختلاف الأصلين المشتق منهما معنياهما، قال[2]: "قال أبو زيد: يقال: أضعف الرجل: إذا كثرت إبله وفشت ضيعته وانتشرت، وأضعف: إذا كانت إبله ضعافا مهازيل". فالمعنى الأول من الضعف بكسر الضاد بمعنى المثلين، والثانى من الضعف - فتح الضاد - أى الهزال.

وبقى بعض الناس يوردون أضدادا، بعد عهد التأليف فيها، دون أن يشاركوا هم فى تدوينها فى كتب خاصة بها. فاقتبس المؤلفون فى الأضداد بعدهم أقوالهم وأدخلوها فى كتبهم. وعلى هذه الصورة كثيرا ما ظهر اسم ابن الأعرابى فى كتب الأضداد، مثل[3] : "قال: "ابن الأعرابى: يقال: أخلاق مشمولة، أى أخلاق سوء، وأنشد:

ولتعرفنَّ خلائقا مشمولة ولتندمن ولاتَ ساعة مَنْدم

قال: ويقال للرجل: مشمول الخلائق. أى كريم الأخلاق". وروى ابن الأنبارى هذا اللفظ دون أن ينسبه إلى أحد.

كتب الأضداد

لم تصل إلينا أخبار يقينية عن أول من ألف فى الأضداد، ولا نستطيع الجزم بذلك، لأن هذا النوع من التأليف ظهر على يد ثلاثة من اللغويين المتعاصرين: هم قطرب المتوفى عام ٢٠٦، وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠هـ، والأصمعى المتوفى حوالى عام ٢١٣.

---

(١) أبو الطيب ٥٤٧.

(٢) أبو حاتم ١٦٦. أبو الطيب ٤٥١.

(٣) الأصمعى ١٨. ابن السكيت ٢٩٠. أبو الطيب ٤١٣. وانظر ابن الأنبارى ١٠٤

ومن الطبيعي ليس من العدل الاعتماد على تاريخ وفاتهم، لأن الأخير منهم في الوفاة قد يكون أولهم في التأليف، إذ ليس الفرق بين وفياتهم بأكثر من سبع سنوات. ولكننا نسير في علاج كتبهم، وفقا لترتيب وفياتهم، اضطرارا. ويطمئننا إلى هذا الترتيب قول الصغاني في مقدمة أضداده: "هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في الكتب المصنفة في الأضداد من عهد قطرب محمد بن المستنير إلى زمان...". فهذه العبارة تجعل المرء يشعر بأن قطربا أول من ألف في الأضداد.

وقد عثرت في أثناء بحثي عن الأضداد على أسماء ثلاثة وعشرين كتابا فيها. وهاك هذه الأسماء مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها:

١ ـ أضداد قطرب المتوفى عام ٢٠٦هـ : طبعة هانزكلوفر Hans Kofler في مجلة إسلاميات، المجلد الخامس، العدد الثالث، ص ٢٤١.

Islamic: Das Kitab Al-Addad von Abu Ali Muhammed Qutrub ibn Al-mustanir. Vol. 5. Fasc 3. p. 241. Sface. 4. p. 385.

وترجمه وعلق عليه في العدد الرابع ص ٢٨٥ من المجلد نفسه.

٢ ـ أضداد أبي عبيدة المتوفى عام ٢١٠هـ: مفقود.

٣ ـ أضداد الأصمعي المتوفى عام ٢١٣هـ: نشره الدكتور أوغست هفنر Dr August Haffner أستاذ العربية في كلية انسبروك، بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، في بيروت عام ١٩١٣ مع أضداد السجستاني وابن السكيت والصغاني في مجلد واحد. (وأشك في كونه للأصمعي).

٤ ـ أضداد التوزي المتوفى عام ٢٣٣هـ: مفقود.

٥ ـ أضداد يعقوب بن السكيت المتوفى عام ٢٤٦ هـ: انظر أضداد الأصمعي.

٦ ـ أضداد أبي حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٤٤هـ: انظر أضداد الأصمعي.

٧- أضداد عبيد بن ذكوان من معاصري المبرد: مفقود.

٨ ـ أضداد أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى عام ٣٢٨هـ: نشره هوتسما Th. Houtsma في ليدن عام ١٨٨١، ثم الشيخ محمد بن عبد القادر سعيد الرافعي مع الشيخ أحمد الشنقيطي بالمطبعة الحسينية المصرية عام ١٣٢٥هـ، ثم محمد أبو الفضل إبراهيم في سلسلة التراث العربي التي تصدرها الكويت ١٩٦٠م.

٩ ـ أضداد ابن درستويه المتوفى عام ٢٤٧هـ: مفقود.

١٠ ـ أضداد أبي الطيب اللغوي المتوفى عام ٣٥١هـ نشره الدكتور عزة حسن في دمشق ١٣٨٢/ ١٩٦٣.

١١ ـ أضداد الآمدي المتوفى عام ٣٧١هـ: مفقود.

١٢ ـ أضداد أحمد بن فارس المتوفى عام ٣٩٥هـ: مفقود.

١٣ ـ أضداد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى عام ٥٦٩هـ: نشره محمد حسن آل ياسين في نفائس المخطوطات بالنجف ١٩٥٢.

١٤ ـ أضداد أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفى عام ٥٧٧ هـ: مفقود.

١٥ ـ أضداد الحسن بن محمد الصغاني المتوفى عام ٦٥٠هـ: انظر أضداد الأصمعي.

١٦ ـ مختصر أضداد ابن الأنباري لتقي الدين عبد القادر التميمي المصري المتوفى عام ١٠٠٩ هـ: مفقود.

١٧ ـ ترتيب المختصر السابق، لابن المختصر ملا حسن: مفقود.

١٨ ـ دورق الأنداد في نظم أسماء الأضداد للسيد عبد الهادي نجا الإبياري المتوفى عام ١٣٠٥ هـ: مصور بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٨٤٤ لغة.

١٩ ـ الرونق على الدورق: للمؤلف نفسه، شرح فيه دورق الانداد: مفقود.

٢٠ ـ الكأس المروق على الدورق، للسيد أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلوانى. شرح لدورق الأنداد ألفه عام ١٣٠٢ هـ تقريبا: مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٤٤ لغة.

٢١ ـ رسالة فى ذكر بعض الألفاظ المستعملة فى الضدين الموجودة فى القاموس لعبد الله بن محمد، وهو مجهول ولكنه محدّث: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤١ مجاميع.

٢٢ ـ منبه الرقاد فى ذكر جملة من الأضداد لمؤلف مجهول، ولكنه حديث: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٩ لغة.

٢٣ ـ الأضداد، للشيخ محمد المدنى، مخطوط بمكتبة السليمانية بالآستانة تحت رقم ١٠٤١.

كتاب قطرب

(٢٠٦ هـ)

وإذن فالمؤلف الأول فى الأضداد هو أبو على محمد بن المستنير المعروف بقطرب تلميذ سيبويه. وقد درسنا أنواع الأضداد عنده، وعند غيره، من المؤلفين فى الأضداد خاصة، وما زاده كل منهم على سابقيه، فلا نعيد القول عن ذلك، ونعنى بإبراز صور تمثل كتبهم، وتوضح طرق تناولهم.

صدَّر قطرب كتابه بمقدمة قصيرة: افتتحها بتقسيم كلام العرب إلى الأوجه الثلاثة المتقدمة فى أول الكلام عن الأضداد، واختتمها بإشارة إلى استقصائه جميع الأضداد كلها ثم انتقل إلى الأضداد نفسها.

وألف قطرب فى معالجة أضداده، أن يبدأ بذكر المعنيين المتضادين، ثم يذكر الشواهد وما إليها، فيقول مثلا[1]: " ومن الأضداد أيضا السّامد. والسامد بلغة طيئ: الحزين، وبلغة أهل اليمن: اللاهى، والسامد: اللاعب، وهذا ضد

---

(١) ٣، ٤.

الحزين. وقالوا أيضا: السامد: المُطرِق. وقالوا: سَمَد الرجلُ يسمُد سمودا: إذا لعب. وقال: المسمود: الطائح الطرف. وقالوا : المسمود: المغمَى عليه. وقال الله جل ثناؤه: (وأنتم سامدون).

قال ابن عباس: على اللغة اليمانية، التى ذكرناها. وقال الكلبى: سامدون مهتمون على لغة طيىء، سمعنا من ينشد:

قيل قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا

وقال رؤبة:

ما زال آساد المطايا سُمدا تستلب السير استلابا مسدا

قال أبو زبيد:

وتخال العزيف فيها غناء لندامى من شارب مسمود

وقال ذو الرمة:

يصبحن بعد الطلق التجريد وبعد سمد القرب المسمود

ومن الأضداد أيضا: أمر جَلل: هين، وأمر جلل: أى شديد، وقال امرؤ القيس:

لقتلُ بنى أسدٍ ربَّهم ألا كلُّ شىء سواه جلل

وقال الآخر:

رسم دار وقفتُ فى طَلِله كدتُ أقضى الغداة من جَلله

وقال لبيد:

وأرى أربد قد فارقنى ومن الأرزاء رزء ذو جلل

غير عظيم. وقال: يجوز أن يكون غير هين وغير شديد...".

وكان فى بعض الأضداد يتغاضى عن هذه العادة، ويبدأ بمعان غير متضادة، أو بأمثلة، أو يدخل ضدين فى بعضهما. قال مثلا[1]: "والنَّهيك: وهو الشجاع.

(١) ٦٢.

ويقال قد نَهَكه المرض ونَهِكه لغتان، ونهكت الرجلَ نَهاكة ونُهْكة: قهرته. ويقال أيضا: نَهُك الرجل إذا قوى واشتد" فالقوة والضعف هما المعنيان المتضادان، أما الشجاعة فأمر آخر.

وقال[1]: "ومنه أيضا: الاستجمار: هو الاستنجاء بالحجر، وكانت قريش تجمُر نساءها، وذلك أن تجعل لها كالنزعتين من نتف وحلق وما أشبه ذلك. وقال: لا تجمروا جنودكم: أى لا تحبسوهم. قال أبو محمد: يقال: جمرت المرأة شعرها: إذا جمعته، ويقال: لا تجمروا جنودكم: أى لا تقطعوا نَسْلهم. وفى المغازى: "تقطعوا نسلكم". ويقال للذؤابة: جِمار، ولها جماران، وهى كالضفيرة التى تقبل على الوجه". خلط المعانى، ولم يبين أى اثنين منها متضادين، وليس فيها معان متضادة. وانظر ما فعله فى عسى وظن اللتين خلطهما كل الخلط[2].

وكثيرا ما كان لا يذكر فى الضد إلا معنى واحدا. قال مثلا[3]: الغَموز: التى لا تدرّ حتى يغمَز ضرعها" وقال[4]: "يقال ناقة ظَئور: تعطف على ولد غيرها". وغير ذلك من صيغة فعول.

وكثيرا ما كان قطرب يلتفت إلى المشتقات فى الضد الذى يعالجه، فيشير إليها. وقد مرت بنا أمثلة لذلك، وهذه أمثلة أخرى: قال[5]: "يقال أيضا: أهمد الثوبُ يهمد همودا بلى. وأهمد: أسرع. وأهمد: سكن. والإهماد: السرعة فى السير. والإهماد: الإقامة".

ولم يسر قطرب فى شواهده على طريقة واحدة. فكان فى كثير من الأضداد لا يستشهد البتة. قال مثلا[6]: "ومنه: البَعْل، يا هذا: لما سَقت السماء،

---

(١) ٧٤.
(٢) ١، ٢.
(٣) ١٩.
(٤) ٢٤.
(٥) ٧.
(٦) ٤٨.

وقالوا: البعل أيضا لما يشرب بعروقه . والبعل: الزوج". وقال [1]: " ومنه البحتر: للقصير، والبحتر: للمظيم".

وكان في أحيان أخرى يستشهد على أحد المعنيين المتضادين، ويهمل الآخر. نرى مثال ذلك في قوله [2]: "ومنه أيضا: السليم. فالسليم: السليم، والسليم: الملدوغ.. قال النابغة:

يُسَّهد من نوم العشاء سليمها لحلى النساء فى يديه قعاقع

وقال الآخر:

أُلاقى من تذكُّر آل ليلــى كما يلْقى السليم من العِداد

ويفعل ذلك في غيره من الأضداد، مثل الناهل، والأعور، وأَرِمٌ، وجَرِيَّة، والفوارض، والتغشمر، وهجد.

وفى مواضع أخرى استشهد على المعنيين معا. قال مثلا [3]: "ومنه التَّلعة: مسيل الماء من الجبل إلى الوادى، والتلعة: الارتفاع من الأرض.

وقال الراعى:

رآنـي ذوو الأحلام خيرا خلافة من الراتعين فـى التلاع الدواحـل

وقال زهير:

وإنـي متى أهبط من الأرض تلعة أجد أثرا قبلـي جديـدا وعافيـا"

وانظر فرع، والرهوة، والمقتوى، ويهوى، وعسعس، والمنة وغيرها. وكان أحيانا يستشهد على المعنى الواحد بأكثر من شاهد.

---

(١) ٤٩.

(٢) ٨ .

(٣) ١٢ .

وتنوعت الشواهد عنده: ما بين شعرية رأيناها فيما سبق، وقرآنية في قوله[1]: "فمن الأضداد: عسى: تكون يقينا مرة، وشكا أخرى، قال الله جل ثناؤه: (عسى ربكم أن يرحمكم) وعسى في القرآن واجبة". وقال[2]: "يكون الظن شكا أو يقينا... وقال الله جل ثناؤه: (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) فهذا يقين، ولو كان ذلك شكا لم يجز في المعنى وكان كفرا ولكنه يقين.." وانظر سمد، وعاصم، وراضية، وخفى، وأسر، ورجا، وشرى، وقبل، وغيرها. وأمثالٌ نراها في قوله[3]: " وفي مَثَل الحق أبلج والباطل لجلج. والأبلج: المضيء المستنير. واللجلج: الذى ليس بمستقيم.

وقال الراجز:

وانعدل النجم عن المَجَرَّةِ وانبلج الصبح لأمْ بَرَّتِ

باتت على مخافةٍ وظلت"

وكان قطرب في أضداده ميالا إلى التنظيم، فوضع جميع المواد التي تنطوي تحت صيغة فعول للفاعل والمفعول به في موضع واحد (١٣- ٣٢) ونبه على هذه الصفة التي توحد بينها في آخرها، إذ قال: "هذا كله الذى ذكرنا أضداد على فاعل ومفعول". ولم يفصل بينهما إلا بصيغة واحدة "فاطم" التي لا تدخل في هذه الصيغة.

ونظم صيغة فاعل أيضا، وجمع موادها في موضع واحد (٣٣- ٤٤) ونبه عليها في أولها في قوله: "وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا..". ولم يشذ عنه إلا الصيغة السابق ذكرها، التي أتت في وسط أمثلة صيغة "فعول" اضطرابا.

أما أضداد صيغة فَعيل التى تأتى للفاعل والمفعول فلم ينتبه إليها ولم يفعل فيها ما فعله مع أختيها، ففرقها في (٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٨٧).

---

(١) ١ .

(٢) ٢ .

(٣) ٢١٦.

وهناك ظواهر أخرى قليلة الأهمية فى أضداد قطرب، لأنها لم تبلغ مبلغ الظواهر السابقة فى الظهور والبروز. ومن هذه الظواهر رجوعه إلى من قبله من اللغويين، وأكثرهم ظهورا يونس بن حبيب (١٥، ١٧، ٣٢) فأبو عمرو (٧، ١٦٨) فالكلبى (١٦٣).

ورجوعه إلى الأعراب مثل أبى طفيلة الحرمازى (١٦) وأبى عون الحرمازى (١١٩) وأبى خيرة العدوى (١٦٢). وأكثر فى تفسير الآيات من الرجوع إلى ابن عباس (١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، وغيرها كثير).

ومنها التفاته إلى الروايات الشعرية، كما نرى فى (٥، ١٤٦ مثلا) وإلى اللغات كما فى (٤٥، ٥٩، ٦٢، ٩٢، ١٦٢، ١٩٧، ٢٠٠)، وإلى المعرَّب (٧، ١٣) وبعض القواعد النحوية اللغوية (٣٢).

ومن الظواهر البارزة فى أضداد قطرب، أنها لم تعرِّف الأضداد تعريفا دقيقا، ووسعت مدلولها جدا، فأدخلت كثيرا من الألفاظ التى نقدها القدماء أنفسهم، وخاصة ابن الأنبارى وذكرنا من ذلك أمثلة كثيرة. بل بلغ من حبه لإيراد الألفاظ أن أدخل بعض الألفاظ العامية، على علم منه بها. قال ابن الأنبارى (٢٣٥): "قال قطرب: الحرفة من الأضداد، يقال: قد أحرف الرجل إحرافا: إذا نما ماله وكثر، والاسم الحرفة من هذا المعنى. قال: والحرفة عند الناس: الفقر وقلة الكسب. وليست من كلام العرب، وإنما تقولها العامة". وكان السبب فى هذا رميه إلى استقصاء الأضداد كلها، والإكثار منها، حتى أوقعه ذلك فى التزيد.

ومما يؤخذ عليه أيضا - إلى جانب هذا - خلطه بعض الأضداد ببعض، كما فعل فى عسى وظن (١، ٢) فأورد ثانيتهما فى وسط كلام عن الأولى.

ويلاحظ على عدم انتهاجه خطة موحدة فى معالجة الأضداد، فقد كان من الواجب عليه افتتاح الضد بذكر معنييه المتضادين، ثم تناول ما يعنّ له. فكان هذا يوضح له الألفاظ التى لا تشتمل على معنيين متضادين فيطرحها من كتابه، ويعرفنا الضدين منذ النظرة الأولى. كما قد نلومه على استطراده إلى المعانى

الأخرى فى الأضداد التى نستطيع الحصول عليها من الرسائل اللغوية الأخرى، وعلى إفلات التنظيم منه أحيانا. وتكرير بعض الأضداد مثل زعوم (٢٨، ١٧١) وأضب (١١٠، ٢١٥) وبطائن (١٣٠، ١٨٢) وذفر (١١٦، ٢١٧) وجون (٧٩، ٩٤)، يضاف إلى ذلك تفريقه الأضداد المشتقة من أصل واحد كظهر وظهر وظاهر (١٤٩، ١٧٩، ١٨٨)، وخفى واستخفى (٤٥، ١٣٥) وبعل (بمعنيين مختلفين ٤٨، ١٨٩).

وجميع هذه الظواهر والمآخذ ـ كبيرها وصغيرها ـ على قدر كبير من الأهمية، لأنها تسربت من كتاب قطرب إلى جميع كتب الأضداد المؤلفة بعده، فسارت عليها دون كبير تمحيص. فما تخلص منها غير القليل، حتى إن ابن الأنبارى كرر (زعوم) لتكرير قطرب إياه.

ومجمل القول فى أضداد قطرب إنه اشتمل على ٢١٨ ضدا، تكرر منها خمسة، أى مجموع ما فيه منها ٢١٣، انفرد قطرب بثمانية منها لم يتابعه أحد فيها، هى (٢١، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٤٧، ١٠٥، ١٨٤)، والثلاثة الأولى من صيغة فعول، والرابعة من صيغة فاعل. ولعل ذلك سبب عدم ذكرها، أما بقيتها فربما كان الشك فيها هو الذى دفع إلى إهمالها.

واشترك قطرب مع ابن السكيت وأبى حاتم وابن الأنبارى فى ٥٤ ضدا، غير أن الكثرة الغامرة رواها الأصمعى أو أبو عبيدة أو أبو زيد بالإضافة إليه. وحذف ابن السكيت وأبو حاتم من أضداد قطرب فى كتابيهما ٨٦ ضدا. واتفق ابن السكيت وابن الأنبارى على حذف ثلاثة أضداد (٧٧، ٨٠، ١٦٤) وانفرد ابن السكيت بحذف ٥٩ ضدا. وانفرد أبو حاتم بحذف ثمانية أضداد (٨٦، ٩، ٩٨، ١٠٣، ١٠٨، ١٢٩، ١٧٧).

وجلى ان ابن السكيت ترك من أضداد قطرب ١٥٦ ضدا، أى حوالى ثلثيها، وأورد منها الثلث الباقى الذى شارك قطربا فى روايته المؤلفون الأولون، عدا ثمانية أضداد. وتدعم هذه النتيجة القول المذكور فى البغية (١٠٤): "قال ابن

السكيت: كتبت عن قطرب قمطرا ثم تبينت أنه يكذب فى اللغة، فلم أذكر عنه شيئا".

وهذه النسخة التى حققها كوفلر من رواية المكنى "أبا محمد" المذكور كثيرا فى تضاعيف الكلام عن الأضداد. ولم يشتهر بهذه الكنية فى عصر تلاميذ قطرب غير اثنين، هما : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلى المتوفى عام ٢٣٥ وأبو محمد عبد الله بن محمد التوزى المتوفى عام ٢٣٨هـ أما الموصلى فقد أخذ " عن الأصمعى وأبى عبيدة وغيرهما (النزهة ٢٢٧) ولكن لم يصرح أحد بمقابلته لقطرب، وروايته أضداده. وأما التوزى فقد " أخذ عن أبى عبيدة والأصمعى والجرمى" (النزهة ٢٣٢) ولم يصرح أحد بمقابلته قطربا. ولكن له كتاب فى الأضداد اقتطف منه المبرد ضدين، لم أجد أحدهما فى نسخة قطرب، والثانية مختلفة عن مثيلتها فيه. وإذن فهذا الكتاب ليس للتوزى. ومع ذلك، لا يمنع هذا أن يكون رواه التوزى.

وكان أبو محمد يروى تعليقاته عن الأصمعى (٢ـ٤ـ ١١٨) وأبى عبيدة (٢: ١١٨ ـ ١٣١) وأبى عمرو الشيبانى (١٧٣) ولم يرو كثيرا منها عن أحد، كما سيبين فيما يلى.

وكان قدر كبير من تعليقات أبى محمد موجها إلى شرح الشواهد. وابتدأ هذا الشرح منذ المقدمة: فقد استشهد فيها قطرب بالآية: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله) فقال " أبو محمد: الأمة: الرجل وحده يُؤتَم به". وهاك مثالا آخر قيل[1]: " قال ابن مقبل:

ظنى بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال

قوله: ظن بهم: أى يقينى بهم، فذلك ضد أيضا: يكون الظن شكا أو يقينا. قال أبو محمد: وقال الأصمعى: وعسى فى بيت ابن مقبل ليست بواجبة، وقال أبو عبيدة: هى واجبة".

---

(١) ٢.

يليها فى الكثرة تعليقاته التى تنكر الضد، مثل ما قيل فى (١٢٥): "الشجاع: القوى، والشجاع: الضعيف. قال أبو محمد: ما سمعنا فى الضعف شيئا". ونرى أمثال هذا النقد فى (١٦١ - ١٧١ - ١٧٣ - ١٩٢ - ١٦٧).

تم تعليقات فى تصحيح بعض المعانى التى ذكرها قطرب، كما فى قوله (١٣٦): "سارب بالنهار: متوارٍ، سمعنا ذلك. وقالوا : انسرب الوحش فى الجحر: دخل. وقال أبو محمد: سارب: منتشر".

ثم تعليقات توضح الضد ومعناه، مثل قوله (١٣٩): "قالوا: الصريم: الليل، وآخره... قال أبو محمد: كل ما انجلى من شىء فهو صريم، كالليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل. ومن ذلك يقال: صريم الزمان أى منقطع من معظمه. ومنه يقال: الصِّرْمة من البيوت: أى القطعة، ومنه يقال: صرمة من الإبل، ومنه يقال: صرم ما بينى وبينه: أى قطعه. ومنه يقال سيف صارم، ومنه صرم الناس النخل. وقوله (١٥٧): "قالوا المأتم: الجماعة من النساء فى الحزن، والمأتم فى الفرح.. وقال أبو محمد: كل جماعة من رجال ونساء فهو مأتم". ومن الواضح أن نتيجة توضيحه توجب رفض الضد، ولكنه لم يرفضه صراحة.

ويماثلها فى العدد تعليقاته التى تبين مشتقات الضد، وبعض الألفاظ الواردة فى تفسيره كقوله (٤٩): " ومنه البحتر للقصير، والبحرت للعظيم. قال أبو محمد: رجل بحتر، وامرأة بحترة، وبهتر وبهترة للقصير".

ومثلهما تعليقاته التى يأتى فيها بالشواهد مثل قوله (٢): "قال أبو محمد : أنشدنا أبو عبيدة:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المعرد

أى تيقنوا".

وذكر فى بعض تعليقاته رواية لشاهد. مثل (١١٥): "قال عمرو بن كلثوم:

نصبنا رهوة من ذات عرف محافظة وكنا المقدمينا

وأنشدنا أبو محمد:

نصبنا مثل رهوة من ذات حد محافظة وكنا المقدمينا

أى كتيبة ذات حد...".

وضّعف فى تعليقه الشاهد. روى قطرب (٢) بيت أبى دواد:

رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتُها بظنون

فقال أبو محمد: قرأت على الأصمعى بيت أبى دواد، فقال: هو لخلف الأحمر".

ووثق معنى ضد بأن العلماء رووه أيضًا، قيل (١٥٦): قالوا: أعبل الشجر: إذا سقط ورقه، وأعبل أيضا: أخرج ثمرته.. وقال أبو محمد: أعبل إذا سقط ورقه قول الأصمعى والعلماء. والتفت مرة إلى ما يحدث فى الضد من إبدال، كما رأينا فى بحتر...

كتاب أبى عبيدة (١١٠-٢٠٩)

نستخلص الظواهر التى سادت كتاب أبى عبيدة من المقتطفات الباقية منه. وتدلنا هذه المقتطفات على أنه احتوى على عدة أنواع من الأضداد، مثل المجازية والتفاؤلية، وأضداد اللغات، وفعل وأفعل وغيرها. وتبين لنا أيضا أنه اختلف بعض الشىء عن قطرب فى الشواهد فهى عنده أكثر مما عند قطرب. ولذلك كثيرا ما نراه يستشهد بأكثر من شاهد على المعنى الواحد. مثل قوله[1]: " أمر جلل: أى جليل، وأمر جلل: أى هين يسير صغير، قال جميل فى الجليل:

رسم دار وقفت فى طلله كدت أقضى الغداة من جلله

أى من عظمه فى عينى أو قلبى. وقال بعضهم، من أجله. وقال آخر:

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمى

---

(١) أضداد أبى حاتم ١١٢.

وقال فى الهين الحارث بن خالد المخزومى:

قلـــت للـــرنة لمـــا أقـــبلت كـل شـيء مـا خـلا عمـرا جلـل

أى هين. وقال لبيد:

وأرى أربـــد قـــد فارقنـــى ومـــن الأرزاء رزء ذو جلـــل

وخالف أبو عبيدة قطربا أيضا. فعلق على أكثر شواهده بكلمة توضح موضع الشاهد، أو تربطه بالمادة التى أتى به من أجلها، ولم يفعل ذلك قطرب. قيل فى أضداد الأصمعى [1]" وقال أبو عبيدة: يقال: عسعس الليل: إذا أقبل. وعسعس: أدبر وأنشد:

مدرعات الليل لما عسعسا

أى أقبل.

ثم ماثل قطربا فيما عدا ذلك من عدم استشهاد أحيانا، واستشهاد على معنى واحد أحيانا أخرى، واستشهاد على المعنيين كليهما مرة ثالثة، وشرح للشواهد مرات معدودة، واستشهاد بالقرآن والشعر والأقوال والأمثال. وهاك أمثلة من كل ذلك: "قال أبو عبيدة [2]: الكأس: الإناء الذى يشرب فيه، والكأس: ما فيه من الشراب". وقال: "يقال: قمأت الماشية قمأ: إذا سمنت. ويقال: صغر فلان وقموؤ قماءة، قال ابن أحمر فى الأول:

وجرد طار باطلهـــا نسيلا وأحدث قموؤها شعرا قصارا"

وقال[3]: "شراة المال: بمنزلة شرار المال، أى رذال المال، والجميع شَرًى، كقوله:

مُغادراتٌ بالشرى المحسَّلِ

---

(١) ٧ .

(٢) الأصمعى ٦٧. ابن السكيت ٣٤١. ابن الأنبارى ٩٨.

(٣) الأصمعى ١٩ . ابن السكيت ٢٩١. أبو الطيب ٤١٤.

أى المنفى المتروك.

والشراة فى لغة بعضهم: خيار مَسانّ الإبل وكرائمها، كقوله:

من الشراة رُوقة الأموال"

وقال: "المُنة: القوة، والمنة: الضعف. ومنه حبل مَنين: أى ضعيف. وقال ذو الرمة:

ترى الناشىءَ الغريد يُضحى كأنه على الرحل مما مَنَّه السير عاصدُ

أى مما أضعفه. والعاصد: الذى يلوى عنقه...". "وقال: (فظلتم تفكهون) أى تندمون. وقالوا: القوم يتفكهون: من الفكاهة، أى الضحك والمزاحة. ويتفكهون من الفاكهة" وقال: " الزُّبية: حفرة تحفَر للأسد، والزبية، جمعها زُبًى: أماكن مرتفعة. ويقال فى المثل: علا الماء الزبى، أى بلغ الأمر أقصاه. قال العجاج:

• وقد علا الماءُ الزبى فلا غِيرَه"[1]

وخالف أبو عبيدة قطربا فى عنايته بايراد المعانى الأخرى للأضداد، التى لا تندرج تحت المعنيين الضدين. قيل فى أضداد الأصمعى[2]: "المولى: المنعم، والمولى: المنعَم عليه. قال أبو عبيدة: وللمولى سبعة مواضع: المولى ذو النعمة من فوق. والمولى: المنعم عليه من أسفل. وفى كتاب الله تبارك وتعالى: (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم). والمولى فى الدين: من الموالاة، وهو الولى، ومنه قوله الله جل ثناؤه: (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا، وأن الكافرين لا مولى لهم).. والمولى: ابن العم، وفى كتاب الله تبارك وتعالى: (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا) أى ابن العم عن ابن العم.. والمولى: الجار، قال مربع بن وَعْوعة الكلابى، وجاور بنى كليب ـ كليب ابن يربوع ـ فأحمد جوارهم:

---

(١) الأصمعى ٨٦. ابن السكيت ٣٥٨. أبو الطيب ٣٣٠.

(٢) ٣٣. ابن السكيت ٣٠٥. وأبو الطيب ٦٦٠.

جـزى الله ربـى والجـزاءُ بكفّـه كليـب بـن يـربوع وزادهـم حمـدا

والمولى: الحليف..."

وعـنى بالمشـتقات المتصلة بالأضـداد أكـثر مـن عـناية قطـرب بهـا، كمـا رأينـا، ونـرى فـى قـرء، قـيل فـى أضـداد الأصـمعى [1]: "قـال أبـو عبـيدة: يقـال أقـرأت الـنجوم بـالألف معـناه غابـت، ومـنه قـرء المـرأة فـى قـول مـن زعـم أنـه طهـرها لأنهـا خرجـت مـن الحـيض إلى الطهـر كمـا خرجـت الـنجوم مـن الطلـوع إلى المغيـب. ويقـال: هـذه ناقـة مـا قـرأت سـلًى قـط، بغـير ألـف: أى مـا حملـت ملقوحا ولا غيبت فى بطنها ولدا".

كذلـك عـنى أكـثر مـنه باللغـات فـيما يـورده مـن ألفـاظ قـال[2]: " إيـدّان: مـثل السـبخة يقـال: مـاؤه إمـدان، وبعضـهم يقـول: مـدان" وقـال[3]: يقـال: سـبد شـعره وسبت لغة، فى الحلق والتطويل".

وفـى آخـر الأمـر أعـود إلى الإشـارة إلى أن هـذه الظواهـر افتراضـية، لأنهـا مبنـية عـلى مقـتطفات الكتـب مـن أبـى عبـيدة. وربمـا غـيرت هـذه الكتـب فـى عـبارته وفـى شـواهده، وفـى غـير ذلـك مـن الأمـور، وربمـا زادت فـى عـبارته، وربمـا نقصـت منها. وقـد حـدث ذلـك. كمـا نـرى فـى قـول أبـى حـاتم[4]: "قـال أبـو عبـيدة: مهرة شوهاء: قبـيحة وجمـيلة، قـال أبـو حـاتم: لا أظـنهم قـالوا للجمـيلة شـوهاء إلا مخافـة أن تصيبها عـين، كمـا قـالوا للغـراب: أعـور، لحـدة بصـره". عـلى حـين قـيل فى أضداد الأصـمعى وابـن السـكيت [5]: "قـال أبـو عبـيدة: يقـال: فـرس شـوهاء: أى حسـنة. ولا يقـال للذكـر مـن هـذا شـىء، ويقـال: لا تشـوه عـلى : أى لا تقـل مـا أفضـحك (أو

(١) ١.

(٢) الأصمعى ١٣.

(٣) أبو حاتم ١٢١.

(٤) ٢٢٥.

(٥) ٣٩ ، ٣١١.

ما أحسنك) فتصيبني بالعين. قال: وما سمعتها إلا في هذين الحرفين، وأما القبح فيقال: قد شوه الله خلقه، ورجل أشوه وامرأة شوهاء، قال الحطيئة:

أرى ثم وجها شوه الله خلقه فقُبّح من وجه وقبح حامله

وقال أبو دواد يذكر فرسا:

فهي شوهاء كالجوالق فوها . مستجاف يضل فيه الشكيم"

ويتضح من هذا أن أبا حاتم حذف الكثير من عبارة أبي عبيدة.

وكان كثير من أقوال أبي عبيدة موضع نقد من الأصمعي وأبي حاتم، وخاصة ما يتعلق بتفسير ألفاظ القرآن، فقد نقده الأخير نقدا مرا. وهاك أمثلة ذلك: قال أبو حاتم [1] "قال أبو عبيدة: ماء بئر: كثير، وماء بئر: قليل. وأنشد في هذا - زعم - للهذلي:

فافتُنهنّ من السّواء وماؤه بئرٌ وعارضُه طريقٌ مَهْيَع

وقال الأصمعي: إنما بئر اسم ماء بعينه، وليس ما قال أبو عبيدة بشيء". وقال أبو حاتم أيضا [2]: "قال أبو عبيدة: " والليل إذا عسعس": أقبل، ويقال: أدبر. وأنشد لعلقمة بن قرط التيمي فجعله إقبالا:

مُدَّرعاتِ الليلِ لما عسعسا وادَّرعتْ منه بَهيما حِنْدسا

البهيم: الأسود: الذي لا يخالطه بياض. والحندس: الشديد السواد. قال: زعموا أن ابن عباس رحمه الله قال: عسعس: أدبر، والله أعلم. قال أبو عبيدة: وقال الزبرقان في الإدبار:

وماءٍ قديم عهده ما يُرى به سوى الطيرِ قد باكرن وردَ المُفلس

وردتُ بأفراس عتاق وفتية فوارط في أعجاز ليل معسعس

---

(١) ٢٢٩.

(٢) ١٣١.

قال أبو حاتم: قد تقلد أبو عبيدة أمرا عظيما. ولا أظن ههنا معنى أكثر من الاسوداد عسعس: أظلم واسود في جميع ما ذكر، وكل شيء من ذا الباب في القرآن فتفسيره يُتقَى، وما لم يكن في القرآن فهو أيسر خطبا". ولكن أبا الطيب لم يقبل نقد أبى حاتم ورد عليه [1].

كتاب الأصمعى

(١٣٢ - ٢١٦)

يحتوى كتاب "أضداد الأصمعى"، على ١٠٥ كلمة من الأضداد. ولكنها ليست جميعا عن الأصمعى. لأن الكتاب ليس خالصا له، بل هو جامع لشتات من الأضداد. ولا شك أن المقتطفات السابقة منه تدل على ذلك دلالة واضحة. فهو لا ينسب للأصمعى صراحة غير خمسة أضداد (٢ - ١٠ - ١٥ - ٣٥ - ٦٣)، على حين ينسب لأبى عبيدة أحد عشر ضدا: (٣ - ٨ - ١٩ - ٣٨ - ٣٨- ٥٣ - ٦٠ - ٦٧ - ٧١ - ٧٢ - ٨٦ - ٩٥) نستطيع أن نضيف إليها ثلاثة أخرى، معطوفة على أضداد له، فيرجح أنها له أيضا (٩ - ٢٠ - ٥٤). وينسب لأبى عمرو الشيبانى (فى الغالب) خمسة أضداد)١٢ - ١٤ - ١٦ - ٣٧ - ٦٤) نضيف إليها اثنين آخرين للظاهرة نفسها التى رأيناها فى أضداد أبى عبيدة (١٣ - ١٧). وينسب لأبى زيد الأنصارى ثلاثة (٤٣ - ٤٥ - ٤٩)، وواحدة لكل من ابن الأعرابى (١٨) والأموى (٦٢)، أما بقية الأضداد فبعضها من مؤلفين مختلطين مثل قرء وجون (- ٤٤)، خلطت فيهما أقوال الأصمعى بأبى عبيدة (وغيرهما أيضا)، وباع (٣٦) خلطت فيها أقوال أبى زيد بأبى عبيدة، وأكثرها لم يصرح بقائله. ومن الممكن نسبة بعض هذا المجهول إلى الأصمعى، مثل الشيح ٤٨ التى نسبها إليه أبو عبيد فى الغريب المصنف، وبعضها الآخر إلى أبى عبيدة، مثل أسر وبثر (٢٧ - ٤١) اللتين نسبهما إليه أبو حاتم (١٦٨ - ٢٢٩)، وغيرهما لأبى زيد، مثل لمق (٥٠). نسبها إليه أبو حاتم أيضا (١٣٧)، وغير ذلك لأبى

---

(١) ٤٩١.

عمرو، مثل خل (٥٦) نسبها إليه ابن السكيت (٣٣٠)، ومن الممكن نسبة كثير من هذه الأضداد المهملة إلى ابن الأعرابى بفضل مضاهاته بما يرويه ابن منظور فى لسان العرب لهذا العالم من الأضداد، مثل أرقام ٤ ـ ٥ ـ ٢٢ وغيرها.

وقد وردت أسماء بعض هؤلاء العلماء فى تضاعيف الكلام عن الأضداد أحيانا، فربما كان هذا إيذانا بأنها لمن يرد ذكرهم فيها.

وخلاصة القول إن الكتاب ليس خالصا للأصمعى، بل يشاركه فيه كثير غيره. حتى لو أضفنا إليه جميع الأضداد المهملة التى لم نستطع معرفة قائليها، يضاف إلى ذلك أنه لا يحتوى على جميع أضداد الأصمعى، فقد روى أبو حاتم ضدين له، لم يردا فيه، هما نعف وحميم (٢٧١ ـ ٢٦٧) إلا أنهما يشك فى صحة نسبتهما إليه.

كل ذلك يجعلنا نميل إلى الاطمئنان بأن هذا الكتاب الذى لدينا ملفق من أضداد مختلفة وليس للأصمعى وحده، أعنى أنه يجمع أضداد عدد من اللغويين: أهمهم أبو عبيدة والأصمعى وابن الأعرابى. وقد حاولت أن أعرف من الذى فعل ذلك بالكتاب، فوجدت بعض العبارات التى قد تنير الطريق أمامنا. وجدت فى "ناء" عبارة : "وقال الأشرم: أخبرنى أبو عبيدة قال: يقال: نؤت بالحمل: إذا نهضت مثقلا...". وإذن فالراوى عن أبى عبيدة هو الأشرم. أما كلمة "الأشرم" فمحرفة عن "الأثرم" وهو على بن المغيرة الأثرم المتوفى عام ٢٣٢ هـ، وكان تلميذا لأبى عبيدة وللأصمعى أيضا. فهل الأثرم هو الذى جمع أضداد الأصمعى وأبى عبيدة معا؟ ليس الأمر ببعيد. ولكن هل هو أيضا الذى وضع معها أضداد ابن الأعرابى وأبى عمرو الشيبانى؟ ليس من البعيد أن يروى عن الشيبانى المتوفى ٢٠٦ تقريبا، ولكن هل يروى عن ابن الأعرابى المتوفى بين عامى ٢٣٠، ٢٣٣. هما متعاصران وفى سن واحدة، فلا مانع من رواية أحدهما من الآخر، ولكن ذلك نادر فى اللغة خاصة، ولم ينص عليه أحد فى ترجمة الأثرم. وقد يكون أحد تلاميذ الأثرم هو الذى أتى بما رواه هذا من أضداد

الأصمعي وأبي عبيدة. وأضاف إليه أضداد ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وأبي زيد، وهو الذي يقول" "قال الأثرم" كما في العبارة المذكورة، فمن هو هذا التلميذ؟ لا يبعد أن يكون: يعقوب بن السكيت الذي "أخذ عن البصريين والكوفيين كالفراء وأبي عمرو الشيباني والأثرم وابن الأعرابي [1]، أولئك العلماء المذكورين في الأضداد. فقد روى ابن السكيت عن الأثرم في الأضداد المنسوبة إليه صراحة قال [2]: "أخبرني الأثرم هذا الحرف عن أبي عبيدة". وإذن فهذه النسخة من الأضداد التي وصلت إلينا هي أضداد ابن السكيت، فما الشأن في الأضداد الأخرى المنسوبة إليه صراحة؟ إنها - بكل يقين - رواية أخرى من أضداد ابن السكيت، لاتفاقهما الذي يكاد يكون تاما في العبارة عن الأضداد، حتى اضطر الناشر إلى أن يقول عن أضداد ابن السكيت: " يتضح من مطالعة كتاب الأضداد لابن السكيت أنه تتبع كتاب الأضداد للأصمعي إلا فيما نَدر، فيورد العبارات ذاتها، وبالترتيب ذاته، ويرفع إلى الأصمعي ما يورده عنه قائلا: "قال أبو سعيد" أو "قال الأصمعي" أو "الأصمعي" مكتفيا بذكر اسمه في بدء ما ينقله عنه. ومن ثم يمكننا اعتبار كتاب الأضداد لابن السكيت كرواية ثانية للأصمعي".

أما سياق العبارة فلا يختلف إلا قليلا جدا في النادر. ويفسر لنا هذا وجود أضداد للأصمعي في كتب أخرى، غير موجودة في هذه النسخة، لأن ابن السكيت - فيما يبدو - كان يختار من أضداد الأصمعي، ولم يرم إلى ذكرها جملة..

وتبين لنا دراسة الأضداد المنسوبة إلى الأصمعي في هذه النسخة وعند أبي حاتم وفي النسخة الأخرى من أضداد ابن السكيت، أن هذا العالم لم يختلف كثيرا عن قطرب وأبي عبيدة في خطته في التأليف في الأضداد. فقد اتفقوا في عدم الاستشهاد مرة، والاستشهاد على معنى واحد أخرى، والاستشهاد على

---

(١) البغية ٤١٨.

(٢) ٣٤٥.

المعنيين مرة ثالثة، والاستشهاد بأكثر من شاهد واحد، وشرح الشواهد. وهاك الأمثلة على ذلك: قال أبو حاتم [1]: "قال لى الأصمعى: النَّعْف. ما ارتفع عن بطن المسيل. والنعف: ما انخفض من الجبل". وقال أبو حاتم [2]: "الريح الطيبة يقال لها: الأذَفر: ومسك أذفر، وروضة ذفراء. ويقال للريح المنتنة: الذفر أيضا. ويقال : فلان أظفر أذفر، أى وافى الأظفار منتن الريح كريح التيس، قال امرؤ القيس فى الطيب:

وريحِ سَنا فى جُقّة حِمْيرية تُشاب بمفروكٍ من المسك أذفرا

وفى نسخة الأضداد المنسوبة إلى الأصمعى شاهد واحد على المعنى الآخر للذفر، دون أن يورد الشاهد الذى رواه أبو حاتم، ودون أن تنسب المادة إلى أحد، ومن الطبيعى أن نميل إلى ما أورده أبو حاتم، إذ نسبه صراحة إلى الأصمعى.

وقال الأصمعى [3]: قد صَرى الماءَ تصرية : إذا جمعه، وشاة مصُرّاة: وهى التى يترك لبنها فى ضرعها يوما أو يومين لا تحلب. وأنشد:

رُبَّ غلامٍ قد صَرَى فى فِقْرته ماءَ الشبابِ عنفوانَ سَنْبته

عنفوان: يعنى أول شبابه. والسنبة والسنب: الدهر. ويقال: صرى يصرى: إذا قطع. يقال: صرى ما بينهما: أى قطع. وجاء فى الحديث: "ما يصرينى عنك" أى ما يقطع مسألتك عنى. وصرى أيضا: نجِّى. قال الشاعر:

صَرى الفحلَ منى أنْ ضئيلٌ سنامُه ولم يصرِ ذات النَّىِّ منى بُروعها

يقول: نجى الفحل منى هزاله. ويقال: صرى الله عنك شرَّ ذلك الأمر: أى دفعه، وأنشد للراعى وذكر صقرا:

---

(١) ص ١٦٣.

(٢) ٢٧١.

(٣) ١٣٠.

وظـلّ بـالأُكْم مـا يَصْـرِى أرانـبَها   مـن حـدّ أظفارِه الحُجـرانُ والقَلَـعُ

أى لا يدفعـه ولا يصـرفه. والحجـران: جمـع حاجـر، وهـو المكـان تـرتفع نواحـيه ويطمـئن وسـطه، لـه حـروف تمـنع المـاء أن ينبـثق". ولكـنه اخـتلف عـن قطـرب وأبـى عبيدة فـى إيراده شـواهد مـن الحديـث، ولم نـر ذلـك فيما بقى من أبى عبـيدة. وكـان هـذا أورد شـاهدا مـن القـرآن الكـريم. ولم نـر ذلـك فـيما روى عـن الأصمعى. وربما لو وصل إلينا أكثر مما وصل تغيرت هذه الفروق.

واتفـق الأصـمعى وقطـرب وأبـو عبـيدة فـى الالـتفات إلى الـلهجات والمعـانى الأخـرى للأضـداد، قـال الأصـمعى: " أقـرأت الـريح: إذا جـاءت لوقـتها. ويقـال: ذهبـت عـنك القِـرْءة ـ خفـيفة. يـريد وقـت المـرض، وذلـك إذا صـرت إلى بلـد غـير الـبلد الـذى أنـت فـيه، فمكثـت فـيه خمـس عشـرة لـيلة، فقـد ذهبـت عـنك قرءة البلد الـتى تحولـت عـنها، وأهـل الحجـاز يقولـون: قـرة بغـير همـز، يعـنى أنـك إن مرضت بعدهـا فلـيس ذلـك مـن وبـاء تلـك الـبلدة، وقولـه العَقْـر، وأهـل الحجـاز يقولـون: عُقْـر الـدار، وأهـل نجـد: عَقْـر الـدار، وأهـل الحجـاز يضـمون العـين، والعقـر: أصـل الدار". وظهر اهتمامه بالمعانى الأخرى فى كلمة (صرى) التى نقلتها آنفا.

ويـبدو أن الأصـمعى عـنى بالمشـتقات المتصـلة بالأضـداد أكـثر مـن عـناية أبـى عبيدة بهـا. ظهـر هـذا فـى "ذفـر" و"قـرء"، وصـرى، ويظهـر أيضـا فـى قوله فى مادة "نـاهل [١]": "الأنـثى ناهلـة، والجمـيع نِهـال، ورجـل مـنهِل: أى معطـش، وإبـل نهــال: أى عطــاش، يــتطيرون بهــا مــن العطــش، فــيقولون: هــذه إبــل ناهلــة، والـنمل: الشـرب الأول، يقـال للـذى شـرب أول شـربة ولم يعـد: نهـل يـنهل، وأنهل الرجل أبله".

ويـبدو كذلـك أنـه أورد بعـض الأخـبار فـى أضـداده، كقصـة الـرجل العـربى مـع الملك الحمـيرى الـذى قـال له: ثِـبْ، فـألقى بنفسـه مـن الجـبل. وهـى معـروفة فـلا داعى لذكرها[٢].

(١) ٤٥.

(٢) أضداد الأصمعى ٦٣.

وشك أبو حاتم فى ضدين للأصمعى، فأوردهما فى المجموعة المريبة عنده، هما نعف والحميم. وقد ذكرنا ما قاله الأصمعى فى "النعف" والحق أنه " الأرض فيها غلظ وانحدار" فالكلمة لا تعنى الانحدار وحده، ولا الارتفاع وحده، فلا تضاد فيها. وقال أبو حاتم فى الثانية [1]: "زعموا أن الأصمعى قال: الحميم: الماء الحار والماء البارد. ولا أعرفه". وأبو حاتم نفسه يضعف هذه النسبة، وقد وجدت الكلمة منسوبة إلى ابن الأعرابى فى لسان العرب (حم).

كتاب التوزى (٢٣٣)

وروى أبو الطيب اللغوى عن التوزى عدة أضداد، كشفت عن ظواهر متعددة غلبت عليها. فقد أبانت أن التوزى نقل كثيرا من أضداده عن أبى عبيدة، مثل قوله[2]: "قال التوزى عن الأصمعى: إذا صغر المسيل عن التلعة فهى الشعبة، فإذا عظم حتى يكون ثلثى الوادى أو نصفه فهو ميثاء، فإذا زاد على ذلك فهو ميثاء جلواخ. قال: وقال أبو عبيدة: المرتجل الذى يطبخ رجلا من جراد، أى قطعة منه، والارتجال الطَّبخ، يقال: ارتجلت شيئا أى طبخته". ويدعم ذلك ما جاء فى البغية [3]. وروى مرة عن كل من الأصمعى، وكيسان بن درهم وأبى زيد وأبى عبيد [4]. وربما كان الاسم الأخير محرفا عن أبى عبيدة.

وأدى اعتماده على أبى عبيدة إلى انتقال الظواهر الموجودة فى كتابه إلى كتاب التوزى. فنجد فيه الأضداد التى يظهر التضاد فى معنييها جليا، مثل[5]: " قال التوزى: يقال: ثوب يَدِىٌ إذا كان ضيق الكم، وثوب يدى إذا كان واسع الكم". والأضداد المأخوذة من أسماء أجناس، مثل [6]: "قال التوزى: أسد

---

(١) ٢٦٧.

(٢) ١٠٤. وانظر ١٨٦، ٢٤٠، ٢٩٦، ٤٢٦، ٤٩٠، ٥٢٣.

(٣) ٢٩٠.

(٤) ٥٥، ١٠٣، ٦٤٦. كامل المبرد ٥٦٩.

(٥) ٦٨٦.

(٦) ١٦.

الرجل إذا فزع من الأسد، وأسد أيضا إذا صار أسدا، من الشجاعة". وأضداد فَعول، مثل[1] :" قال التوزى: الأكولة الفاعل ـ يريد قولك: رجل أكولة، والهاء للمبالغة ـ والأكولة الشاة يربيها الراعى، والرجل يربيها لنفسه ليأكلها". وأضداد فَعيل، مثل [2]: "قال التوزى: التبيع التابع، والتبيع المتبوع" وفعل وأفعل، مثل [3]: " قال التوزى: ومن الأضداد ثُبت الرجل، إذا أعطيته من الثواب، وأثبته إذا طلبت نواله. قال أبو حاتم: ولا أعرف الثانى إلا توهما". والأضداد الناتجة عن تصريف مختلف، مثل الذى رواه المبرد [4] فى شرحه لبيت حسان بن ثابت:

لقد رميت بها شنعاء فاضحة يظل منها صحيح القوم كالمُودِى

قال: فالمودى فى هذا الموضع الهالك. وللمودى موضع آخر يكون فيه القوى الجاد. حدثنى بذلك التوزى فى كتاب الأضداد، وأنشدنى:

مودون يحمون السبيل السابلا

المؤدى بالهمز: التام الأداة والسلاح، وبغير الهمز: الهالك".

وأورد غير ذلك من الأضداد، بل أورد ألفاظا من المشترك لا تضاد فيها، مثل[5] : "قال أبو حاتم: التوزى: الزاهق: الميت. يقال: زهقت نفسه تزهق زهقا، وفى التنزيل (وتزهق أنفسهم) والزاهق: السمين...".

وتعددت الشواهد عنده. فكان منها القرآن، مثل [6]: "قال التوزى: خفيت الشىء وأخفيته لغتان فى الإظهار والكتمان جميعا. قال: ومن ذلك قول الله جل

---

(١) ٢٤.

(٢) ١٠١.

(٣) ١٢٤.

(٤) الكامل ١٤٤.

(٥) ٣٣٣.

(٦) ٢٣٧. وانظر ٣٦٠، ٥٦٠، ٥٦٩، ٦٨٠.

وعز: (أكاد أخفيها) يقرأ بالضم والفتح". وكان منها الأمثال، مثل ما ذكره أبو الطيب في حَزوَّر [1]: "وقال آخر في مثل ذلك:

إن أحق الناس بالمنيَّةْ حزور ليستْ له ذُريَّه

قال: أراد ها هنا رجلا ضعيفا لا نسل له. وقال التوزى: هذا مثل تمثل به الأحنف بن قيس، وأراد بالحزور الغلام الحديث السن". وكان منها الأقوال الفصيحة كالإتباع في "شحيح نحيح" [2] .

وكان بطبيعة الحال الشعر، الذى اختلفت معالجته له اختلافا كبيرا. فاكتفى بإيراد الشاهد حينا، وعلق عليه حينا آخر. مثل [3]: " أنشد قطرب وأبو حاتم والتوزى فى البسل بمعنى الحلال بيت عبد الله بن همام السلولى:

أيثبت ما زدتم وتلغى زيادتى دمى - إن أسيغت هذه - لكم بسل

قال التوزى: هذا رجل كان له زيادة فى ديوان، فقال: إن ألغيت زيادتى فدمي لكم حلال، أى لا أدعها لكم. ألا ترى أن قبل هذا البيت:

زيادتنا نعمان لا تحرمننا تق الله فينا والكتاب الذى تتلو"

وكثيرا ما نسب هذه الشواهد إلى من أنشده إياها مثل [4]: "قال التوزى: وأنشدنى أبو مالك وأبو عبيدة:

ولما رأى الحجاجَ جرد سيفه أسرَّ الحروريُّ الذى كان أضمرا

أى أظهر. قال: وأنشد غيرهما: أسر الحرورى الذى كان مُظهَرا"

فذكر رواية أخرى فى البيت.

---

(١) ١٨٨.

(٢) ٦٥٠.

(٣) ٣٤. وانظر ٢٥، ٥٣ ـــ ٥٥، ٦٥، ٣٤٨، ٣٩٩، ٤٧٤، ٥٣٤.

(٤) ٣٥٣. وانظر ٣٥٦، ٣٦٥.

وأخطأ في بعض الأبيات، فأوردها ولا شاهد فيها على ما يقوله، كما فعل في حديثه عن (بيضة البلد)، إذ قيل في أضداد أبي الطيب [1]: وأنشد التوزي في المدح:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد مناف

قال أبو حاتم: ليس هذا من هذا الباب. قال أبو الطيب: وهو كما قال:

"واعتاد في حديثه عن الأضداد أن يذكر كثيرا من مشتقات الضد، مثل[2]: "من الأضداد قال التوزي: يقال حرس فلان الشيء يحرسه حرسا وحراسة وحَرْسة ومَحْرسا، إذا حفظه وكَلاه، والشيء محروس وحَريس".

كتاب ابن السكّيت (١٨٦ ـ ٢٤٤)

من الطبيعي الآن، أننا حين ننتقل إلى الكلام عن نسخة الأضداد المنسوبة إلى ابن السكيت صراحة، نراها تجمع بين ما قلنا عن الأصمعي، وعن أبي عبيدة، بل ربما كان أغلب الظواهر التي نسبناها إلى هذين العالمين، هي في حقيقة أمرها من عمل ابن السكيت. ولم يقدم هذا المؤلف بين يدي كتابه مقدمة يبين فيها أسباب اهتمامه بهذا النوع من التأليف كالحال في نسخته الأخرى التي نسبت إلى الأصمعي. ويحتوي كتابه هذا على ٩٤ ضدا، كلها للعلماء الذين سبق ذكرهم، وعلى رأسهم: أبو عبيدة، فالأصمعي فابن الأعرابي فأبو عمرو الشيباني. وليس هناك من دليل على أن المؤلف أتى بشيء من عنده، اللهم إلا إذا كان فيما أهمل نسبته ما هو من جمعه.

وما دام الأمر كذلك فنحن في غنى عن الإطالة في الكلام عنه اكتفاء بما قلناه آنفا، ولكننا نشير إلى بعض المعالم الكبرى فيه.

---

(١) ٥٥.

(٢) ٢٥٥. وانظر ٤٠٣، ٤٨٥، ٥٣٤، ٥٣٩، ٥٤٦ وغيرها.

اختط ابن السكيت لنفسه خطة واضحة. هى أن يورد المادة أولا، ثم يعقبها بمعنييها ، ثم يورد الأمثلة. قال[1] : "جلل... والجلل: الهين، والجلل: العظيم. فقد جلت مصيبتهم أى عظمت: وأنشد:

كل شىء ما خلا الموت جلل والفتى يسعى ويُلهيه الأمل

وقال الآخر فى العظيم:

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمى

وكان أحيانا أخرى لا يراعى هذه الخطة فيورد المادة، ثم أحد معنييها أو يستشهد له، ثم المعنى الآخر وشواهده. قال [2]: "أقوى والمُقْوِى: الذى لا زاد معه ولا مال له، وكذلك الدار التى قد أقوت من أهلها، قال الله تبارك وتعالى : (ومتاعا للمقوين). وفى موضع آخر المقوى: الكثير المال. يقال: أكثِر من إتيان فلان فإنه مقوٍ. والمقوى أيضا. الذى ظهره قوى".

وكان يلتفت أحيانا إلى المشتقات المتصلة بالأضداد، والمعانى الأخرى لها التى لا تدخل فى الضدين. وتنوعت الشواهد عنده: بين القرآن، والحديث، والشعر، والأمثال. وسلك طرقا مختلفة فى الاستشهاد: كثرة وقلة، واستشهادا على معنى واحد أو اثنين أو عدم استشهاد البتة. وكل ذلك رأيناه فى كلامنا السابق، غير أن الأحاديث لم نر منها كثيرا، ولذلك أشير إلى بعض مواطن الاستشهاد بها: (٨٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠٥ ـ ٣٠٨ ـ ٣١١). وكل هذه الأمور: من منهج وظواهر، رأيناها فى أضداد قطرب، وإذن فابن السكيت سار على الدرب الذى مهده هذا المؤلف الأول، وربما شابهه فيه الأصمعى وأبو عبيدة. ولكن ابن السكيت لم يخضع لقطرب فى مواده، بل حذف منها قريبا من ثلثيها لشكه فيها.

---

(١) ٢٨١.

(٢) ٢٧٩.

كتاب السجستانى

(٢٤٨)

خالفت أضداد أبى حاتم السجستانى ما سبقها من كتب فى العنوان، إذ لم تقتصر على الأضداد وحدها، بل هى "كتاب المقلوب لفظه فى كلام العرب، والمزال عن جهته، والأضداد". والمراد بالجزء الأول من هذا العنوان ما يسمى "المقلوب" مثل تهيبنى الطريق، وبالجزء الثانى الأضداد نفسها مثل الجزء الثالث، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الأصيل. فالعنوان يصرح إذن أن الكتاب خاص بالأضداد، والعبارات المقلوبة. ولكن هذا التقسيم لم يثمر ما يماثله فى متن الكتاب.

وتشتمل أضداد أبى حاتم على ١٧٠ ضدا، أخذ منها ١١٦ من قطرب، واتفق ابن السكيت معه فى ٥٤ منها. ولم يشترك أبو حاتم مع ابن السكيت فى شىء من بقية الأضداد التى لم يأخذها من قطرب، وقدرها ٥٤ أيضا. فلم يقع بينهما اشتراك إلا فيما أخذاه من قطرب. ولكن أبا حاتم لم يأت بهذه الأضداد من عنده، بل أخذ خمسة منها من أبى زيد (١٦٦، ٢١١، ٢١٦، ٢٤٣، ٢٤٤٩)، و٣ من الأصمعى (٢١٤، ٢٦٧، ٢٧١)، واثنين من أبى عبيدة (١٠٦، ١١٨) وواحدا من التوزى (١٨٠) وآخر من أبى زيد والأصمعى معا (٢٧٥). واشترك مع ابن الأنبارى فى ٢٨ ضدا، لا ندرى مصدرها على وجه اليقين، وإن ورد فيها أسماء بعض اللغويين.

أما ما انفرد به أبو حاتم عن قطرب وابن السكيت فأضداد قلائل، يمكن أن نفرعها إلى الأنواع التالية:

أ ـ ما يتبع صيغة انفعل وافتعل من الأجوف والمضاعف. وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (١٧٥).

ب ـ ما يتبع صيغة فَعول وفَعيل (١٥٨، ١٦٠ ـ ١٦٥، ١٧٥، ٢٠٣، ٢٠٤) وسبب انفراده تجديده فى أمثلتهما.

جـ ـ أضداد كان يشك فيها (٢٤٦، ٢٧٢).

د ـ أخطاء (٢٠٩، ٢٣١).

وظننت فى بادئ الأمر أنه حذف ما حذف من أضداد ابن السكيت، لأنه لم يرض عنها أو عن نوع الأضداد الذى تمثله. ولكن الدراسة بينت أنه ذكر من الأضداد ما هو من نوعها. فقد حذف بعض أضداد مجازية (٦٥ـ ٧١، ٦٩) وأضداد اللغات (٥٧، ٥٩) وأضداد التطير (٩٦) وأضداد المتعلقات (١٣)، وأضداد فعول وفعيل (٨٧، ٣٠) وغيرها. وكان من هذه الأضداد التى حذفها ما رواه أبو عبيدة (٦٠، ٦٧، ٧٠، ٧١، ١٠٠) وأبو عمرو الشيبانى (١٢، ١٤، ٥٦) والأصمعى (١٠، ١٥) وقطرب (٩٨). وكان فيما زاده أضداد الصيغ المختلفة من أفعل وفعول ومفتعل وتفعّل (٢٤٦، ١٦٢ ـ ١٦٥، ١٧٥، ٢٠٣، ٢٣١) وأضداد مجازية (٢٧٣) وأضداد اللغات (٢٢٧) وأضداد المتعلقات (٢٣٦) وغيرها، أما الفرق الواضح بينهما فكثرة اعتماد ابن السكيت على أبى عبيدة وأبى عمرو الشيبانى، وإكثار أبى حاتم الرواية عن قطرب وأبى زيد والأصمعى.

وجمع أبو حاتم فى آخر كتابه ثلاثين ضدا، أفردها عن بقية الكتاب لشكه فيها. ووجه إليها نقدا عاما إذ قال [1]: "وقد ذكر بعض أصحابنا حروفا لا علم لى بها: أتقال أم لا". وكان من هذه الأضداد ما شاركه فيه ابن الأنبارى (٢٥٧) وما شاركه فيه قطرب وابن الأنبارى (٢٥٢)، وما شاركه فيه الأصمعى وابن السكيت وابن الأنبارى والصغانى (١٨٧).

---

(١) ص ١٤٨.

ولا تختلف الخطة التى سار عليها أبو حاتم فى معالجة الأضداد، فى معالمها الكبرى، وإن اختلفت فى بعض التفاصيل، عما رأيناه فى أضداد ابن السكيت. فهما متفقان فى تقديم المادة، فمعنييها، فشواهدهما تارة، وتقديم المادة فأحد المعانى وشواهده، فالمعنى الآخر وشواهده. قال[1] : "بيضة البلد. يقال: فلان بيضة البلد: إذا ذم، أى قد انفرد، ويقال ذلك فى المدح، زعموا. فأما فى الذم فقال الراعى لعدى بن الرقاع العاملى:

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

قال أبو حاتم: يجوز أن يكون قول الراعى هزءًا، يهزأ بهم، يقول: أنتم سادة البلد، وهو يهزأ بهم. وقال حسان لمزينة، وقد قتلوا أباه فجعلهم جلابيب، أى سفلة:

أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

وقال المتلمس:

لكنه حوض من أردى بإخوته ريب المنون فأضحى بيضة البلد

وأما قول ابن الزبعرى:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد مناف

فليس من هذا فى شىء. وقال [2]: "زهق. الزاهق: الميت. يقال: زهقت نفسه، وقال تعالى: "وتزهق أنفسهم" و"قل جاء الحق وزهق الباطل" وزهق بين يدى القوم: مضى وتقدم. وقالوا: والزاهق: السمين، قال زهير:

القائد الخيل منكوبا دوابرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية، إلا فى المقتطفات التى أخذها من غيره. وكان فى بعض الأحيان يترك الطريقتين، ويذكر المادة كما تأتى. قال [3]:

---

(١) ١٧١.

(٢) ١٩٥.

(٣) ٢٤٠.

"ظهر: بطن: وقال الحسن رحمه الله: (بطائنها من استبرق): ظواهرها. وقالوا: ظهر السماء: وجهها، وبطن السماء كذلك، وقرأت القرآن عن ظهر قلب. وعن ظهر اللسان. قال الشاعر:

وإن من القول التى لا شوى لها إذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا فى قوله تعالى: "فيظللن رواكد على ظهره" أى على وجه البحر. وقالوا: أمر ظاهر عنك: أى زائل، قال الهذلى أبو ذؤيب:

وعيَّرها الواشون أنى أحبها وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

أى زائل. ويقال: النعمة ظاهرة عليه: أى لازمة له". فالمعانى والشواهد كلها مختلطة لا نظام لها.

واعتمد أبو حاتم فى علاجه على الشواهد، ولكنه كان يقلل منها فى الشواهد التى انفرد بها عن ابن السكيت، ولم يظهر لى أنه أخذها من غيره. ولا يختلف الاستشهاد عند أبى حاتم عنه عند من سبقه، طريقة وأنواعا، غير أنه أكثر من الآيات القرآنية، وقلل من الأمثال والأقوال. وهذه بعض أمثلة الاستشهاد عنده. قال [1]: " الآدم من الإبل ومن الظباء: الأبيض. ومن كل شىء بعد ذلك: غير الأبيض على ما يقول الناس. يقولون: رجل آدم [أسمر] وظبية أدماء: بيضاء. وبعير آدم: للأبيض، وناقة أدماء". وقال[2] : "قد قالوا: بصير، للبصير والأعمى، وللزنجى أبو البيضاء. وقال لى رجل من شق الأحساء: لى أم بصيرة، يريد عمياء" .

ولكن أبا حاتم خالف من قبله فى ناحية واحدة من الشواهد، هى إيراده أحيانا السند فى تفسير الآيات والأحاديث. قال [3]: "حدثنى أبو عامر العقدى

---

(١) ١٧٦.

(٢) ٢٢٥.

(٣) ١١١.

قال: حدثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار: أن ابن عباس قرأ: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)...".

وكان في العلاج يحاول ألا يستطرد كما كان يفعل ابن السكيت، وأن يلتزم بما اتصل بالأضداد وحده.

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات إلى المشتقات المتصلة بالأضداد، والعناية باللغات، كما نرى في قوله في "ند" [1]: "النخل، يؤنثه أهل الحجاز، ويذكره سائر الناس. ويؤمل: من أمَلتُه، مخففة، ويقال: هو مأمول. ومن قال أمّلته، فشدد الميم، قال: هو مؤمّل. وقالوا للواحد: شِبْه وشَبيه، وعِدْل وعَديل. وقد يقال للعدل من الأحمال: عديلة: أيضا".

وكان إلى جانب هذا يلتفت أحيانا إلى بعض القواعد والأحكام اللغوية والنحوية، ويذكرها. قال: "قال أبو حاتم: اجتمعت العرب على أن (ند) الشيء مثله وعِدْله، ولا أعلمهم اختلفوا في ذلك... والجمع أنداد.. وكثير من العرب يجعلون الند أيضا للجمع من الرجال والنساء، وللاثنين من الرجال والنّساء، كما يجعلون المِثْل والشِّبْه والعِدْل والضد.. ويقال: ند، ونَديد، ونديدة بالهاء، كما يقال في الحديث: "إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه": أي كريم قوم... قال تعالى: {كلا سيكفرون بعبادتهم، ويكونون عليهم ضدا} أي تكون الآلهة ضدا عليهم. وإنما جعل الضد كالمصادر التي تكون للواحد والجمع سواء. كقولك: القوم رِضًى، والقوم عَدْل. وهم جُنُب... وهذا مشهور في المصادر خاصة. ويقال: قوم كَرَم، في معنى: كِرام. وقالوا: قوم شَرَط: وقَزَم: للئام، وقد يجمع فيقال: قَزامى وأشراط".

وكتاب الأضداد لأبي حاتم أكثر انتظاما من كتاب ابن السكيت، إذ ينظم أضداد فعول، وافتعل وانفعل من الأجوف، وافتعل من المضعف الثلاثي، ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز في أضداد ابن السكيت. يضاف إلى ذلك أنه أخر أضداده، وصرح بشكه فيها. ولكن تسرب إليه الاختلال في مادة "ضنين

---

(١) ١٠٦.

وظنين" التى لا ندرى سبب وضعه إياها فى الأضداد، وفى مادة "قعد" التى كررها مرتين[1].

يضاف إلى ذلك أن أبا حاتم فى أضداده امتاز على ابن السكيت امتيازا كبيرا، دل على قدرة فائقة. وقد ظهرت آثار هذه القدرة فى النقود التى عقب بها على كثير مما أورده من أضداد. وعندما نتتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية:

أقام أبو حاتم الشطر الأكبر من نقده، على عدم معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ، وهو يقيم من نفسه مثالا للغويين، فيعنى بقوله: "لا أعرفه" أن اللغويين لا يعرفونه. قال مرة[2] " زعم قوم أن بعض العرب يجعل الند مثل الضد، ويقول هو يضادنى، فى ذلك المعنى، ولا أعرف أنا ذلك، فأما المعروف فى الضد فى كلام العرب فخلاف الشىء، كما يقال: الإيمان ضد الكفر، والعقل ضد الحمق..".

وكان فى أكثر الأحيان يأتى بهذا النقد فى الأضداد المتعلقد بالقرآن تحرجا منه وورعا. مثال ذلك قوله [3]: "كان أبو عبيدة يقول: خاف من الخوف، ومن اليقين. وكان يقول: "فإن خفتم ألا تعدلوا" يريد أيقنتم. ولا علم لى بهذا لأنه قرآن، فإنما تحكيه عن رب العالمين، ولا تدرى لعله ليس كما يظن".

والدعامة الثانية عنده. تغليط القائل، مثل قوله [4]: "قال أبو عبيدة: الخنذيذ من الخيل: الفحل والخصى. وغلط، إنما الخنذيذ الفائق من الخيل، ومن كل شىء. ويقال: خطيب خنذيذ، وشاعر خنذيذ. وقال خفاف بن عبد شمس:

---

(١) ١٢١، ٢٦١.

(٢) ١٠٦.

(٣) ١١٧.

(٤) ١١٥.

وبراذين كابيات وأُتْنا وخناذيذ خصية وفحولا

الخِصْية: الخصيان. فأراد منها خصيان ومنها فحول. وقال بشر بن أبي خازم في نعت فرس:

وخنذيذ ترى الغرمول منه كطي الزِّق علقه التُّجار"

وعثرت على نقد واحد من أبي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد، قال [1]: "قال أبو عبيدة: أسررت الشيء: أخفيته وأظهرته أيضا. وكان يقول في هذه الآية: (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب): أظهروها. ولا أثق بقوله في هذا، والله أعلم. وقد زعموا أن الفرزدق قال:

فلما رأى الحجاجَ جرَّد سيفه أسرَّ الحروريُّ الذى كان أضْمرا

ولا أثق أيضا بقول الفرزدق في القرآن. ولا أدرى لعله قال: "الذى كان أظهرا" أي كتم ما كان عليه. والفرزدق كثير التخليط في شعره، وليس في قول نظيريه جرير والأخطل شيء من ذلك. فلا أثق به في القرآن".

كذلك عند أبي حاتم نقد واحد قام على أن الضد من احتيالات النحويين قال [2]: "قال قوم: سوى الشيء: غيره، وسواه: هو هو. وقال قوم: بل سوى تكون زيادة أحيانا، كقول أبي النجم: "كالشمس لم تعْدُ سوى ذُرورها" يريد لم تعد ذرورها، أي أن ذرت، أي طلعتْ. وأنشدنا أبو زيد:

أتانا فلم نعدل ســـواه بغيـره رسولٌ أتى من عند ذى العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم. والمعنى فلم نعدله بغيره. وقال الأخفش: أراد فلم نعدل سواه بغير سواه، فالهاء ترجع إلى سواه. وهذا من احتيال النحويين، وكلام العرب على غير ذلك".

---

(١) ١٦٨.

(٢) ١٨١.

كتاب ابن الأنبارى

(٢٧١ - ٨٢٣)

وصل إلينا أيضا "كتاب الأضداد" لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى. وقد قدم المؤلف - كأبى حاتم - بين يدى كتابه مقدمة، صدرها بالحمد والصلاة، ثم عرّف الأضداد، وذكر ما دفعه إلى التأليف فيها، وقسم الكلام العربى تمهيدا لوضع الأضداد فى موضعها اللائق بها، وأبان نشأتها الأولى فى اللغة. ونستبين من الاطلاع عليها أن ابن الأنبارى أدخل فى مقدمته مقدمة قطرب كلها.

وكشف ابن الأنبارى عن النهج الذى اختطه فى كتابه، فقال [1]: "وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة، وصنفوا فى إحصائها كتبا. نظرت فيها، فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءا، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها. فرأيت أن أجمعها فى كتابنا هذا، على حسب معرفتى ومبلغ علمى، ليستغنى كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه، إذ اشتمل على جميع ما فيها، ولم يعدم منه زيادة الفوائد، وحسن البيان، واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد".

ووفى المؤلف بالخطوة الأولى من نهجه، فقد ذكر جميع ما فى أضداد ابن السكيت وأبى حاتم - ما عدا قريبا من ٣٠ أهملها لشكه فيها - وجميع ما فى أضداد قطرب غير ١٢ ضدا. وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها، واتفق معه أبو حاتم في الباقيين ٧٧، ١٦٤. وزاد عليها أضدادا أخرى، فبلغ المجموع ٣٥٧. وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه، إلى جانب ما أورده من فوائد فى أثناء الحديث عن الأضداد نفسها.

أما "حسن البيان" فظهر أولا فى الخطة التى رسمها لنفسه ولم يحِد عنها تقريبا. وأوجزها فى الابتداء بالتنبيه على أن اللفظ من الأضداد ثم تقديم معنييه المتضادين، ثم إتباعهما بالشواهد إن كان بين يديه شىء منها. وها أنذا أفتح

---

(١) ص ١٣.

الكتاب عفوا، لألتقط الضد الذى يكون فيها. قال[1] : " وتأثم حرف من الأضداد. يقال: قد تأثم الرجل: إذا أتى ما فيه المَأثم، وتأثم إذا تجنب المأثم، كما يقال: قد تحوَّب الرجل إذا تجنب الحُوب. ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر. أخبرنا محمد بن أحمد بن النضر قال: حدثنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة، عن هشام قال: قال الحسن ومحمد: ما علمنا أحدا منهم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثما من ذلك، أى تجنبا للمأثم..." وكان فى بعض الأحيان يجمع بين كلام قطرب والأصمعى فى سياق واحد، كما فعل غيره أيضا (ريب).

وظهر " حسن بيانه وكثرة فوائده" فى حشو المواد. فقد عنى بإبانة أصل الأضداد وما اتصل بها من مشتقات فى أحيان كثيرة، مثل[1]: "وقال الفراء: حسبت أصله من حسَبت الشىء أى وقع فى حسابى، ثم كسرت السين منه، ونقل إلى معنى الشك... وقال الفراء: خِلت أصله من الخيال إذا تخيل لك الشىء، ثم أُعمل فى الاسم والخبر ونقل إلى معنى الظن..".

وعنى فى بعض الأضداد بإيراد معانيها الأخرى غير المتضادة، مثل [2]: " الظن يقع على معان أربعة: معنيان متضادان: أحدهما الشك، والآخر اليقين الذى لا شك فيه.. والمعنيان اللذان ليسا متضادين: أحدهما الكذب، والآخر التهمة. فإذا كان الظن بمعنى الكذب قلت: ظن فلان، أى كذب، قال الله عز وجل: " إن هم إلا يظنون".

وأكثر فى علاجه للمواد من إيراد الأحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله. قال فى "توسَّد " [3]: وأنشد الفراء:

يا رب ساريات ما توسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

---

(٢) ١٠٥.

(١) ٣ ، ٤ .

(٢) ١ .

(٣) ١١٥.

أى كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة. وموضع اليد خفض بإضافة الكف إليها، وثبتت الألف فيها، وهى مخفوضة، لأنها شبهت بالرحى والفتى والعصا، وعلى هذا قالت جماعة من العرب: قام أباك، وجلس أخاك، فشبهوها بعصاك ورحاك، وما لا يتغير من المعتلة. هذا مذهب أصحابنا. وقال غيرهم: موضع اليد نصب بكف، وكف فعل ماض من قولك: قد كف فلان الأذى عنا" . وقال: " الأون حرف من الأضداد، يقال: الأَوْن، للرفق والدعة، والأون: للتعب والمئونة... والمئونة أخذت من الأون، وهو التعب والنصَب. والأصل فيه مأوُنة مفعلة، من الأون، فنقلت ضمة الواو إلى الهمزة، ويجوز أن تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة. فإذا قالوا هو عظيم المئونة فمعناه: عظيم التسكين والرفق. ويجوز أن تكون المئونة مَفْعلة من الأيْن، والأين التعب. قال الشاعر:

لا يغمز الساق من أين ولا نصَب ولا يعض على شرسوفه الصفر

وأصلها على هذا القولَ مأيُنة، فحولوا ضمة الياء إلى الهمزة، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما قبلها، كما قال الآخر:

وكنت إذا جارى دعا لمَضُوفة أشمّر حتى ينصف الساقَ مِئْزرى

فمضوفة مفعُلة من الضيافة، وأصلها مضيفة، ففعل بها ما فعل بمئونة. وتكون المئونة فعولة من مُنْت الرجل، فتهمز الواو لانضمامها، كما قال امرؤ القيس:

ويضحى فتيتُ المسك فوق فراشها نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فنئوم فعول من النوم، همز الواو لانضمامها" وأمثال ذلك فى الكتاب كثيرة.

وعنى فى الحشو أيضا باللغات. فكان يقول: " أخبرنا أبو العباس قال: يقال: هو البازُ، وهو البازى، فمن قال: هو الباز، قال فى التثنية: هما البازان والجمع البيزان، على مثال قولهم: الخِال والخيلان، ومن قال: هو البازى قال

فى التثنية: هما البازيان، وفى الجمع البُزاة على مثال القاضى والقضاة. قال أبو بكر: فى الباز لغة ثالثة لم يذكرها فى هذا الكتاب وذكرها لنا فى بعض أماليه قال: ويقال: هو البأز، بهمز الألف مثل الفأس والكأس، وتجمعه فى أدنى العدد من ثلاثة إلى عشرة فتقول: ثلاثة أبْؤُز، كما يقول: أفؤس وأكؤس. فإذا كثرت فهى البؤوز، كما تقول كؤوس وفؤوس. فجمع القلة على أفْعُل مثل الأفلس والأبحر، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوس والبحور. قال أبو بكر: فى الباز لغة رابعة، يقال: هو البازىّ، بياء مشددة تشبه ياء النسبة..".

وكثر فى حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن قتيبة. وأقام ابن الأنبارى كثيرا من نقده على تعارض الأقوال المختلفة من اللغويين. فأورد أقوالهم وقارن بينها ليخلص إلى الرأى الصواب عنده، مثل[1]: "القرء حرف من الأضداد. يقال: القرء للطُّهْر، وهو مذهب أهل الحجاز، والقُرْء للحيض، وهو مذهب أهل العراق. ويقال فى جمعه أقراء وقُروء. وقال الأصمعى عن أبى عمرو: يقال: قد دفع فلان إلى فلانة جاريته تقربُها، يعنى أن تحيض ثم تطهر للاستبراء. ويقال: القرء هو الوقت الذى يجوز أن يكون فيه حيض، ويجوز أن يكون فيه طهر... ويقال: قد أقرأت النجوم: إذا غابت. قال أبو بكر: وهذا حجة لمن قال: الأقراء الأطهار، لأنها خرجت من حال الطلوع إلى حال الغيبة" وقال الأصمعى وأبو عبيد: يقال: قد أقرأت المرأة: إذا دنا حيضها، وأقرأت: إذا دنا طهرها. قال أبو بكر: هذه رواية أبى عبيد عنهما. وروى غيره: أقرأت إذا حاضت، وأقرأت إذا طهرت. وحكى بعضهم قرأتْ، بغير ألف فى المعنيين جميعا. والصحيح عندى ما رواه أبو عبيد".

وقد رأينا ـ فيما سبق ـ أن ابن الأنبارى نقد بعض الأضداد، لأن المعنيين لصيغتين مختلفتين لا صيغة واحدة مثل فعل وأفعل، أو لأن المعنى الثانى للفظ غير شائع الاستعمال، أو لعدم وجود شواهد تدعم المعنى الثانى. ويمكن أن

---

(١) ٨.

نضيف إليها ما يحدد السياق معناه، مثل[1]: " قال قطرب: من الأضداد قولهم أَلَيَت المرأةُ تألَى، إذا عظمت أليتها، وأليت الشاة وغيرها: إذا قطعت أليتها. قال أبو بكر: وليس هو عندى من الأضداد، لأن كل واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد، ولا يقع على معنيين متضادين".

وإذا قارنا بين نقد أبى حاتم ونقد ابن الأنبارى، وجدنا الأول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته، عنيفا فى هجومه، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثانى. فابن الأنبارى لا يقارن أقوال قطرب أو غيره من مؤلفى الأضداد بمعارفه هو كما يفعل أبو حاتم بل بأقوال غيره من اللغويين. ولم يغلِّط ابن الأنبارى أحدا، ولا حجب ثقته عنه، ولا عد أقواله من الاحتيالات كما فعل أبو حاتم. وبَيْنا كان أبو عبيدة هدف نقد أبى حاتم الأول، كان ابن قتيبة الهدف الأول لنقد ابن الأنبارى.

ومن مظاهر قدرة ابن الأنبارى فى التمحيص حذفه ما حذف من أضداد ابن السكيت وأبى حاتم. فقد حذف من الأول أرقام ١٤ ، ١٧، ٨٧، ٩٦، ١٠، ١٠٣، ١٠٥. وكلها كان أبو حاتم قد حذفها، ورقم ٩٤ الذى أورده فيما شك فيه من أضداد، ولعل ذلك الذى دعا ابن الأنبارى إلى تركه.

وحذف من أبى حاتم ثلاثة أنواع من الأضداد: أولها ما انفرد به، مثل ٢٤٦ ، ٢٧٢، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٧، ١٦٦، ٢٤٢، ١٠٩، ١٧٣، ٢٤٦. وأكثرها مما شك فيه أبو حاتم نفسه، أو أقيم على أساس خاطئ ١٠٩، ١٦٦، ١٨٠، ٢٣٦. ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول، مثل ١٦٠ - ١٦٣. ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الأجوف، أو افتعل من المضاعف، مثل ١١٨، ١٧. وكان حذفه ما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها.

وأخيرا وفى "باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد" فأتى بالأنواع المختلفة من الشواهد: القرآن، والحديث، والشعر، والأمثال والأقوال، كما فعل سابقوه. وقد مرت علينا أمثلة ذلك. وعنى فى كثير من الآيات والأحاديث بتفسيرها،

---

(١) ٣٢٢ .

بإيراد سند أقواله. وكانت عنايته أكبر من عناية أبي حاتم. فكان يقول [1]: أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا أبو عبدالرحمن عثمان بن عبدالرحمن الجزرى قال: حدثنا عبيد الله بن أبى العباس، عن جويبر، عن الضحاك قال: سأل نافع بن الأزرق عبد الله بن العباس عن قول الله عز وجل: {وأنتم سامدون} فقال: معناه لاهون. قال نافع: وهل كانت العرب تعرف هذا فى الجاهلية؟ قال: نعم، أما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهى تبكى عادا حيث تقول:

بعثتْ عاد لقيما وأبا سعد مريدا
وأبا جلهمة الخير فتى الحى العنودا
قيل: قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا

وكان يأتى بالشواهد على الأمور الاستطرادية فى كلامه. ويعلق على الشواهد ويشرحها ويطيل أحيانا، وقد يبين ما فى الشواهد الشعرية من روايات. قال مثلا فى مادة" ماتت بجُمْع"[2] : وقال الشاعر يذكر ماء وَرَده:

وردناه فى مجرى سهيل يمانيا بصُعر البُرى من بين جمع وخادج

فالجمع: التى فى بطنها ولد، ويقال: بجمع بكسر الجيم. والخادج: التى ألقت ولدها، ويقال: قد خدجت الناقة تخدج: إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج وإن كان تام الخلق، وأخدجت تخدج: إذا ألقته ناقص الخلق وإن كان لتمام". وقال فى "طرب" [3]: وقال لبيد فى معنى الحزن.

وأرانى طربا فى إثرهم طربَ الوالهِ أو كالمختبل

معناه: وأرانى حزينا. ويروى: أو المحتبل. بالحاء: أى كالذى يقع فى حبالة الصائد" والشواهد فى الواقع كثيرة عنده جدا، معنيٌّ بها لدرجة كبيرة.

---

(1) ١٧.
(2) ١٥٢.
(3) ٥٧ .

فكان يستقصى الاستشهاد على جميع أضداده. ولم يترك منها إلا الأضداد التى نقلها عن غيره بدون أن يكون مستشهدا عليها، أو فى المعانى المشهورة. وكان يصرح بأنه لا يستشهد على المعنى المشهور، لأنه ليس فى حاجة إلى ذلك. فكثيرا ما ترى العبارة التالية عنده: " لا يحتاج فيه إلى شاهد لشهرته عند الناس". أو "لا يحتاج مع شهرته إلى ذكر شواهد له" أو "شهرته تغنى عن إقامة الشواهد عليه" وما ماثلها.

يتضح من كل ذلك أن قول دائرة المعارف صحيح حين وصفت أضداد ابن الأنبارى بأنها أهم كتب الأضداد. فهذا الكتاب قريب من كتاب أبى حاتم، ولكنه يفوقه فى كثرة المواد، وحسن العلاج، وكثرة الشواهد وتنوعها، ودقة النقد وكثرته، وفى الاستطرادات التى تحوى كثيرا من الفوائد النحوية، عن أئمة الكوفة.

ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال. الذى كان فى أربعة مظاهر:

١ ـ الاضطراب: فالمؤلف ينظم صيغة فَعول لأن قطربا نظمها، ولا ينظم فَعيل، لأن هذا لم ينظمها. وكان أبو حاتم نظم صيغتى افتعل وانفعل من الأجوف المضاعف، والمؤلف لا يفعل ذلك ٢٦٢، ٢٦٣، فلا يبين أنها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة، ويذكر ابن الأنبارى كثيرا من الألوان على أنها أضداد. لكنه يفرقها فى أماكن مختلفة، وحقها الجمع فى موضع واحد. ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضها. وينطبق الكلام نفسه على الحروف والأدوات التى عدها فى الأضداد، ويتصل بذلك تفريقه أشباه الأضداد، وكان واجبا عليه أن يفصل الأضداد عن أشباهها، ويضع كلا منها على حدة.

٢ـ التكرار: مثل الأخضر (٢٢٣،٢٤٥) طلع (٢٠٢، ٢٥٧) وزعوم (٢٣٠، ٢٥٩) كرر الكلام عنها فى موضعين مع اتفاق السياق على وجه التقريب فى (طالع) واختلافه فى (الأخضر) و(زءوم). وكرر عن فزع أيضا (١٢٩، ١٨٢) وإن اختار فى المرة الأولى صيغة (مفزع) وفى الثانية (فزع).

٣ ـ أضداد لا ينبه فى صدرها على ذلك. يبتدئ فى علاجها مباشرة، مثل ناء (٩٤) حتى اضطرب الناشر المصرى الأول فيها، وأتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها كأنما ليست مادة جديدة.

كتاب أبى الطيب اللغوى

(٣٥١)

ظهرت أول محاولة لترتيب الأضداد على يد أبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى الحلبى. فقد اطلع هذا اللغوى على كتب الأضداد السابقة، وجمعها أمامه، ثم نظر إليها نظرة ناقدة، خرج منها بكتابه. وإذن فقد كان يرمى أبو الطيب إلى "إحكام تصنيفه، وإحسان ترصيفه، والزيادة على ما ذُكر منه، وإلغاء ما خلط من غيره فيه، لتقوى مُنَّة القائلين به، ويضعف قول النافين له" كما يقول فى مقدمته. ويدلنا هذا على أن حركة التأليف فى الأضداد نضجت، ووصلت إلى مرتبة التفلسف والنقد، بدلا من الاقتصار على الجمع.

وتَبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهج المؤلف، إذ قسم كتابه إلى قسمين: الأول للأضداد المرضية عنده، والثانى للأضداد التى أدخلها السابقون وليست من الأضداد فى حقيقتها. قال فى مقدمته: "وترى من سبقنا إلى هذا الكتاب قد أدخل فيه ما ليس منه، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه".

أما الأضداد المرضية، أو القسم الأول من الكتاب - وهو الأكبر - فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم. ووضع فى كل فصل الألفاظ المبدوءة بالحرف المعقود له الفصل معتبرا الحرف الأصلى فيها. قال فى المقدمة " وقد رأينا أن نبوبه على حروف المعجم، إذ كانت همة أهل زماننا مقصورة عليه، وقلوبهم مائلة إليه، وخير ما تُحرى ما نفع، وأفضل ما انتُدب له ما شفى ونجَع. ولكن أبا الطيب اكتفى بترتيب الفصول، ولم يحاول ترتيب الألفاظ نفسها فى داخلها.

والقسم الثانى من الكتاب، الخاص بما أدخله السابقون من أضداد ليست منها فى الحقيقة رتبه أبوابا. كل باب منها خاص بنوع من هذه الأضداد. وبلغ عددها أربعة أبواب، أولها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من صيغة مفتعل ومنفعل من الأجوف، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من المدغم العين فى

اللام، وثالثها للمجازى، ورابعها للمقلوب. والبابان الأولان مرتبان على الحرف الأول أيضا، أما الأخيران فغير مرتبين..

وحين يلقى المرء نظرة على هذا الكتاب يجده مفتتحا بمقدمة قصيرة، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من إحكام التصنيف وإحسان الترصيف.. ثم تعريف الأضداد ويختتم بمنهجه والدعاء.

وتبدأ الأضداد بعنوان "الألف" الذى يشير إلى فصل الألف بالطبع.

ولم يسم المؤلف هذه المجموعات فصولا، ولكن وهبتها هذا الاسم للتيسير.

ويظهر منذ الضد الأول تحرى أبى الطيب الجمع والاستقصاء، إذ يقتبس فيه من جميع السابقين. قال: " قال أبو زيد: يقال: أمر أمم: إذا كان عظيما، وأمر أمم: إذا كان صغيرا، وقال الأصمعى: أمر أمَم: أى قَصْد. وقال أبو عبيدة: القريب. وقال عمرو بن قميئة فى الصغير:

يا لهف نفسي على الشباب، ولم　　أفقد به إذ فقدته أمما

وقال الأعشى:

لئن قتلتم عميدا لم يكن أمما　　لنقتلن مثله منكم فنمتثل

قالوا: معناه لم يكن صغيرا حقيرا. وقالوا. لم يكن قصدا. وأنشد قطرب فى معنى القصد:

أتانى عن بنى الأحرا　　ر قول لم يكن أمما

أرادوا نحتَ أثلتنا　　وكنا نمنع الخطما

وأنشد أبو عبيدة فى معنى القريب:

يا ليت شعرى عنك والأمر أَمَمْ　　ما فعل اليوم أُويس فى الغنم

قال أبو حاتم: أظنه والأمر قصد، وأنشد فى القريب:

" قومى إياد لو أنهم أمم"

أى لو أنه قريب وقال الآخر:

كوفية نازح محـــلتها لا أمم دارهـا ولا صقب

ويروى: "لا سقب" بالسين أيضا: وهو قريب: ولذلك قالوا: دار فلانة مسقبة بدارنا: قريبة منها. وفى حديث الشفعة: " الجار أولى - أو أحق - بسقبه" : أى بما دنا منه وقرب من داره".

ذكر أبا زيد، والأصمعي، وأبا عبيدة، وقطربا، وأبا حاتم.

ونستخلص من دراسة أضداد أبى الطيب الظواهر التالية:

الانتظام، فقد بلغت الأضداد عنده نضجها فى الدراسة، وغايتها فى الانتظام الداخلى، فالمعانى تقدم فى مفتتح المادة، ثم ترد الشواهد على المعانى. ثم تعالج المادة كلها.

وتكثر الشواهد وتتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين. فيعتمد على الشعر كما رأينا فى المادة السابقة. ويعتمد على القرآن كما نرى فى قوله[1] :- "ومن الأضداد بطانة الثوب، يكون بمعنى البطانة، وبمعنى الظهارة. وقال الحسن فى قول الله تبارك وتعالى: "بطائنها من استبرق" قال: أراد ظواهرها. قال قوم: لأن كل واحد من الظهارة والبطانة يكون وجها. تقول العرب: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، للذى نرى منها. وقال الزبير فى قتلة عثمان رضى الله عنه: "ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب" يعنى هربوا فى البلاد. وقال آخرون فى هذه الآية: إنما أراد الله تعالى أن بطائن هذه الفُرش من استبرق، وهو الغليظ الفاخر من الديباج، فالظهائر أشرفُ وأعلى والله أعلم بكتابه".

ويعتمد على الأحاديث، مثل قوله فى مادة باع[2]: " وروى ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " من باع

---

(١) ٦٧. وانظر فهارس الكتاب.

(٢) ٤٧ . وانظر الفهارس.

عبدا وله مال، فماله الذى باعه إلا أن يشترط المبتاع" أى المشترى. فالمبتاع يكون بمعنى البائع، والمبتاع يكون بمعنى المشترى، والمبتاع يكون بمعنى المبيع، والمبتاع يكون بمعنى الشيء المشترى. وفى حديث رواه ابن سيرين، عن شريح، عن ابن مسعود قال: إذا اختلف البَيِّعان - يعنى البيع والمشترى - والبيع قائم بعينه، فالقول ما قال البائع، أو يتترادّان البيع" . يعنى بالبيع الشيء المبيع. وفى حديث آخر: " البائعان بالخيار" يزيد البائع والمشترى.. وفى حديث آخر رواه ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم: " إذا اختلف المتبايعان استُحْلف البائع، ثم كان المبتاع بالخِيار".

ويعتمد على أقوال الصحابة، كما رأينا فى ظهر، وكما نرى فى قوله [1]: "يروى عن حذيفة أنه قال حين حضرته الوفاة: بيعوا لى كفنا، أى اشتروه لى".

ويعتمد على أقوال الأعراب والأقوال المتبادلة بين الناس فى حياتهم اليومية، كما رأينا فى ظهر، ونرى فى قوله أيضًا[2]: " ذكر أعرابى جريرا فقال: كان سِفْسيرا أى حاذقا بالشعر".

ويعتمد على الأمثال أيضًا[3]: "وبشرة الإنسان: ظاهر بدنه عندهم جميعا، والجمع بَشَرات وبَشر... أبو زيد: تقول العرب فى مثل: " أراك بشَرٌ ما أحار مِشْفر" وبعضهم يقول: أولج مشفر. قال: سمعتها من رجل من بنى أسد يقول: ما أكلت استبان على بشرتك وفى لونك".

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها، كما نرى فى قوله: " وقول الشاعر:

أمك بيضاء من قضاعة فى الـ ـبيت الذى يستظل فى طنبه

أراد نقية من المعائب، ولم يرد أن يصف لونها. وكذلك قوله:

---

(١) ٤٥. وانظر الفهارس.

(٢) ٤٥. وانظر الفهارس.

(٣) ٧٤. وانظر الفهارس.

"أنك بيضاء من قضاعة قد تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا: الأعمام والأخوال..".

ونسب كثيرا من الشواهد إلى من أنشدها كما رأينا في أمم: ونرى في قوله: " الأمين: المؤتمن، والأمين المؤتمن، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول. وأنشد أبو حاتم للنابغة في معنى المفعول به.

وكنت أمينه لو لم تخنه ولكن لا أمانة لليمانى"

واغترف أبو الطيب من أضداد سابقيه، وما أتوا به في سبيل تفسيرها وتعليلها ونقدها والاستشهاد عليها. وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول إلى قائله، حتى في الأحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم، وجمع بين عباراتهم، أشار إلى ذلك. فكان أكثر من جمع بين عبارته قطرب وأبو حاتم. وجمع أيضًا بين قطرب وأبي عمرو، وقطرب وأبي عبيدة. وجمع أحيانا بين أقوال ثلاثة منهم معا، مثل قطرب وأبي حاتم والتوزي، وأبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي.

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا أن كثرت الأضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الأنباري، وأن تمثلت في كتابه جميع الظواهر التي وجدت في كتبهم، في الأضداد والشواهد والتفسير. بل إن ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يُخلِ كتابه منه، وجمعه في آخر الكتاب.

ولكن ذلك لم يُلغِ شخصية أبي الطيب. فما أكثر تعليقاته الشخصية التي يورد بعضها عن لغويين آخرين، ويأتي ببعضها من معارفه العامة، ويقصد فيها إلى زيادة التوضيح، والاعتراض، والنقد، والترجيح، وما إلى ذلك من أمور.

والحق أنه يعادل كتاب ابن الأنباري قدرا وأهمية. ويفوقه في اتجاهه الأدبي، وكثرة شواهده وتنوعها، وكثرة الأحاديث عنده، وفوائده التي أضافها، وإصراره على نسبة كل قول إلى صاحبه، وما أدخله على الأضداد من ترتيب. أما ابن الأنباري فيفوقه في القرآنيات، والعلل اللغوية والصرفية، والعبارات المؤلفة.

كتاب ابن الدهان

(٤٩٤ - ٥٦٩)

أعلن ابن الدهان (سعيد بن المبارك) فى مقدمة أضداده أنه نظر فى كتب السابقين عليه، فوجد فيها اختلالا: إذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه، ويتركون ما يجب عليهم ذكره، ووجدها مشحونة بالشواهد. فاستهدف أن يخرج مختصرا حاويا للأضداد مجردة عن كل شىء. فهدفه الجمع والاختصار. ثم رد علي من أنكر الأضداد. واتبع ابن الدهان ما فعله أبو الطيب فى ترتيب أضداده، فلم يراع فيها غير الحرف الأصلى الأول وأهمل بقية الحروف.

ولا يزيد الكتاب عن قائمة تورد اللفظ الضد يليه معناياه. وعلق من وقت لآخر على بعض الأضداد بعبارة " وفيه نظر" دلالة على شكه فيها. وطبيعى أن الكتاب حوى الأنواع المتعددة من الأضداد، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة، التى أشار منها إلى كتب الأصمعى والفراء وقطرب وابن السكيت وثعلب والسجستانى وابن الأنبارى.

وأمثل لنهج الكتاب بما يلى:

المأتم : النساء يجتمعن فى الحزن، وفى الفرح، وفيه نظر.

إذ : للماضى والمستقبل، وفيه نظر.

إذا: للماضى والمستقبل، وفيه نظر.

الأَمَم والأَمَم: الحقير والعظيم.

الآشرة: الآشرة والمأشورة".

كتاب الصغانى

(٥٧٧ - ٦٥٠)

فى أوائل القرن السابع، أخرج الحسن بن محمد الصغانى كتابا فى الأضداد، وصل إلينا بتحقيق الأستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتتح الكتاب بالعبارة التى يبدو أن الصغانى كان يفتتح بها كتبه جميعا مع البسملة والحمد، والتى تدل على اعتكافه فى المسجد الحرام..

وصرح المؤلف فى مقدمته بأنه قرأ جميع كتب الأضداد، وذكر ما فيها، مع تحرى الاختصار والترتيب على حروف الألفباء.

ولم أعثر قبل الصغانى على كتاب فى الأضداد مرتب على الحروف فى جميع ألفاظه، فلعله أول من فعل ذلك. وكان ينظر فى ترتيبه هذا إلى أوائل الحروف، فحروفها الثانية، فالثالثة فالرابعة أى الترتيب الحديث المعروف لنا، مع تقديم الواو على الهاء. وكان لا يعتمد فى ترتيب الألفاظ إلا على حروفها الأصلية. أما الزائدة فلا اعتبار لها عنده. ويبدو من عباراته الأخيرة أنه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون فى كتبهم بدون تمحيص أو نقد، فهو لا يقبل المرضى وحده، ويحذف المشكوك فيه، بل يقبلهما معا. وقد أشار إلى ذلك مرة ثانية فى خاتمة كتابه القصيرة التى قال فيها: " آخر كتاب الأضداد، ولله الحمد والمنة. وفيه كلمات ليست هى عندى من الأضداد، ولكنى قفوت فيه آثار من سبقنى إلى جمعها مثل ابن الأنبارى وغيره، حذار أن يقال: أهمل شيئا مما أثبتوه، فليمهد العذرَ العاثرُ عليها، وصلى اللهِ على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا.

وحين ندرس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده نراه فى الخطوة الأولى جمع ٣٣٧ ضدا، ولكنه لم يذكر كل ما فى أضداد قطرب وابن السكيت وأبى حاتم وابن الأنبارى. فقد حذف من الأولى حوالى ٦٧ ضدا، ومن الثانية حوالى ١٠ أضداد، ومن الثالثة حوالى ٥٥، ومن الرابعة حوالى ٤٠ ضدا. وأتى فى مقابلها بقريب من ٧٥ ضدا، ليست فى هذه الكتب الثلاثة. ولا يقوم هذا الحذف على أساس الشك والنقد، إذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه. أضف إلى ذلك أن كثيرا مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفى الأضداد (٢٠، ٢٢٥، ٢١٧، ٧٧، ٢٢٦، ١٩٣، ٢٠٥، ٦٠، ٢١٩، ١٢٧، ٢١٠، ١٨٥، ٨٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢١، ٢٤). ولكن تجب الإشارة إلى أن كثيرا مما حذفه خاطىء (٢٣١، ١٨٠، ١٦٦، ١٠٩، ٢٥٥، ٢٨٦) أو مشكوك فيه (٢٥٩، ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٤٤، ٢٧٠، ٢٦٦، ١١٨، ١٧٥، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٧١) أو انفرد به

قائلوه (١٦، ١٠٠، ١٠٥، ٩٦، ١٧) وأكثر ما حذفه من أضداد ابن الأنباري، أو ينطوى تحت صيغ فعول (٦٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥) أو فعيل ٢٠٣، ٢٠٤، أو افتعل (١٧٥).

أما المنهج الذى سار عليه فغاية فى البساطة: إيراد اللفظ بمعنييه المتضادين. ولا عناية بما بعد لك. فلا ذكر للغويين الذين يأخذ عنهم إلا قليلا (٤٩٠، ٦٨٨، ٧٠٦) ولا ذكر لشواهد، ولا لمشتقات ولا لمعانٍ أخرى للأضداد، ولا لفوائد وزيادات وأحكام وقواعد. فالكتاب يمكن تسميته "متن الأضداد". وهاك بعض الأمثلة:

" الأبْض: السكون والحركة.

الأبْل: الرَّطب واليبس.

المأتم: النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح.

الإرَة: الحفرة التى تحفر للنار، والنار نفسها أيضا.

الأزْر: القوة والضعف.

أسِد: إذا جزع وجبن، وإذا جسر كالأسد.

أفِد: إذا أسرع وإذا أبطأ.." إلى آخر الكتاب.

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الألفاظ عنده. فقد قدم "أون" على " أور" و "تصدق" على "صامت" و"قانص ـ قنيص ـ قانع قنوع" على "قمؤ" والعكس أصح. كما قدم "ناء" والأصح وضعها فى النون مع الواو.

كتاب عبد الله بن محمد

تقتنى دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الأضداد عنوانها: " ذكر بعض الأضداد التى ذكرت فى القاموس " جمع من يسمى " السيد عبد الله بن محمد..." تحت رقم ٢٤١ مجاميع وهى ورقات، ناقصة من آخرها. إذ وقفت فى أثناء مادة "القتين".

روانسح من ٥ نوانيها أن المؤلف جمع ما فيها من أضداد من القاموس المحيط للفيروزآبادى، إذ يبدو أنه فى أثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الأضداد يعثر عليه. ولم يختر المؤلف الأضداد التى نبه عليها الفيروزآبادى وحدها، بل اختار أيضا الألفاظ التى روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على أنها من الأضداد. ولم يغير المؤلف فى ترتيب الألفاظ التى اختارها من القاموس، فبقيت على ترتيبها فيه، أى على الحرف الأصلى الأخير أولا، فالحرف الأصلى الأول ثانيا، فحروف الوسط الأصول مرتبة.

وسار المؤلف أيضا على نهج القاموس فى العناية بالتفسير وحده، وحذف الشواهد. فكان يورد اللفظ ثم معنييه المتضادين. وكان فى غالب الأحيان يحافظ على نص القاموس أيضا. وهذه بعض الأمثلة من باب الهمزة منه، يؤكد ما سبق من أقوال: " ثأثأ الإبل: عطّشها وأرواها. وثأثأت: عطشت ورويت. جفأ الباب: أغلقه وفتحه كأجفاه. خَجِيء: استحيا وتكلم بالفُحْش. ودَأْدأ الشيءَ: حرّكه وسكّنه. دارأته: دافعته ولا يَنْتُه. رَقَأ بينهم، أفسد وأصلح. القرء: الحيض والطهر. ناء بالحمل: نهض مثقلا، وأثقل فسقط. وراء: خلف وقدام".

كتاب محمد المدنى

(١٢٠٠)

تقتنى المكتبة السليمانية بالآستانة رسالة أخرى فى الأضداد للشيخ محمد ابن محمود المدنى، تماثل الرسالة السابقة أو تكاد، تحت رقم ١٠٤١. وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها، ولكن لها خاتمة أخذ جزءا منها من المزهر للسيوطى، ومن أضداد ابن الأنبارى. وصرح فيها : " وقد تتبعت القاموس وغيره من كتب اللغة، واستخرجت ما صادفته، ولم أدّع الإحاطة".

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالة السابقة لا نجد بينهما فرقا يذكر، لاعتمادهما الرئيسى على القاموس المحيط فى الأضداد، وترتيبها وتفسيرها، ومثال ذلك قوله:

ثأثا الإبلَ: أرواها وعطشها ضد. رثأ أ، الإبلُ: عطشت ورويت ضد. جفا الباب: أغلقه كأجفاه وفتحه ضد. دارأته: داريته ودافعته ولا ينته ضد. رقا بينهم رقأ: أفسد وأصلح ضد. القره وبضم: الحيض والطهر ضد".

دورق الأنداد للأبيارى وشروحه

(١٣٠٥)

وفى أوائل العصر الحديث شارك الشعر فى حركة الأضداد، فألفت فيها الرسائل المنظومة. ووصل إلينا من هذه الحركة رسالتان. أولاهما المسماة " دورق الأنداد فى نظم أسماء الأضداد" للسيد عبد الهادى نجا الإبيارى المتوفى عام ١٣٠٥هـ. وقد ألفه قريبا من عام ١٢٩٧، إذ تمت النسخة الثانية منه على يد الناظم فى ضحوة يوم الثلاثاء تاسع شوال من ذلك العام، كما تصرح نسخة دار الكتب المصرية، التى تحت رقم ٨٤٤ لغة.

والسبب الذى دفع الإبيارى إلى تأليف نظمه إعانة الأدباء الذين يرمون إلى التأنق بالجناس والتورية والمحسنات. وأما المراجع التى اعتمد عليها فالقاموس المحيط للفيروزآبادى وشروحه، قال الناظم فى مقدمة قصيدته:

وقد تيسّر لى فى جَمْعِها جُمَل ... تجمَّل المجتنى من روضها كَلِما
كل الذى ذكر القاموس جئتُ به ... إلا الذى بَصرِى قد زاغ منه وما
وزدت أشياء من شراحه وسوا ... ها، هكذا منه، لكن بالذى فهما
حتى ظننت بأن لم يبق قط من الـ ... أضداد شىء، ولكن يا أخى ربما

وشرح لنا الناظم منهجه فى المقدمة أيضا، فعرفنا بأنه لم يلتزم الألفاظ الواضح تضاد معانيها وحدها، بل ذكر ما أورده غيره ولو كان فيه تجوز وتوسع، وإن نقده فى أحيان أخرى، قال:

وربما كان فى بعض الذى ذكروا ... تسامح بعموم أو بما لزما
فأقتفى إثْرهم طورا، وآونة ... أُبدى الذى يتراءَى فيه للفُهَما

ولم يلتزم إيراد المعنيين المتضادين فى كل لفظ من الأضداد، بل حذف أحيانا المعانى المعروفة المشهورة واكتفى بإيراد المعانى غير المعروفة، قال:

طورا أجىء بكل المعنيين وطو ... را بالذى كان مجهولا ومُنبهما
فإن تعددت الأضداد جئت بما ... يُغنى عن الضد من كلٍّ، ليَنْفهما

ويريد بالبيت الثانى - كما نص شارحه - : " إن كثرت الأضداد بأن كان اللفظ مشتركا بين أربعة معان مثلا، كل معنيين منهما متضادان، جئت من الأربعة مثلا بما يغنى عن الضد من كل منهما، وذلك أنى أذكر معنيين فقط: كل منهما محذوف الضد لينفهم المحذوف بالمذكور".

وسار فى ضبط ألفاظه على هدى القاموس المحيط، قال:

ينبيك قاموسها بالاصطلاح لها ... إذ منه مرجانها واللؤلؤ انتظما
ما كان مهملا أو مفتوحا أولُه ... قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما
فإن ضرورة شعر قد دعت لسوى ... هذا، أشرت إليه خوف أن تهما

واتبع ترتيب الفيروزآبادى وتقسيمه لقاموسه، فالكتاب مقسم إلى أبواب بحسب الحرف الأخير للكلمات التى فيها. وترتب الكلمات فى داخل هذه الأبواب بحسب حروفها الأولى فالوسطى. ولكن الشعر أرغمه أحيانا على الإخلال بهذا الترتيب فى داخل الأبواب لا بين الأبواب. أعنى الإخلال فى ترتيب الحروف الأولى، أو الحروف الوسطى، أما الحروف الأخيرة فلا.

وهاك قدرا مما قاله الناظم فى "باب الهمزة" لتبرز معالم منهجه:

بغرة الشهر فُسِّر البراء كذا ... بالأنس فسرٌ بَساء واكسِرنْ لهما
ثم البلاء لمنحة أتى ولمحـ ... ـنة، كما جاء فى القرآن منفهما
ثاثأت إبلى: أى أرويتها، وكذا ... ثأثأت هى: أى أضحت ذوات ظما
والاجتداء بسؤال فسروا وعطا ... كذا الجَداء، قاله القالى عن العلما
وأجفأ الباب: أغلقه، ودأداه ... معناه حرك، والتسكين قد فهما
دأرأت خصمى - مهموزا، كذاك بيا - ... دافعته، وكذا لاينته كرما

وقام المؤلف نفسه بشرح قصيدته فى كتاب سماه "الرونق على الدورق" أكثر فيه وأطال واستطرد. ولكنه ـ فيما يبدو ـ لم يتمه، وإنما أعطانا وصفه أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلوانى، فى مقدمة شرحه للدورق. قال: "وكان ـ حفظه الله ـ قد ابتدأ شرحه الموسوم بالرونق على الدورق، لكنه طال وسار بل سال، فى رياض الأدب الغوال، عن يمين وشمال. فإنه التزم فيه تحف المناسبات الظريفة، وطرق الاستطرادات الشريفة، وحقق ودقق، ونمق وأنق، وحرر وحبر، ونضد ونضر، ونثر الدر والجوهر، فأكثر... فقد رأيت منه أربعة كراريس، يبذل الأديب فى مثلها النفس والنفيس. ولكنه زهر فى الأكمام، وطفل لم يبلغ حد الفطام.."

ورجا المؤلف من الحلوانى أن يؤلف شرحا مختصرا على قصيدته. فحقق الرجاء بكتابه الذى تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم ٨٤٤ لغة، بعنوان "الكأس المروق على الدورق"، وقد فرغ منها "يوم السبت الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وثلاث مئة وألف من الهجرة الشريفة".

وحدد الحلوانى خطوات منهجه بقوله فى مقدمته: "فشرعت فى الشرح وما أطيله، فالمقصود الدورق وهو سبيله. إلا أنى إن ظفرت بشىء من الأضداد، فى باب من الأبواب، فإنى أذكره تتميما للمراد، فى خاتمة ذلك الباب. ولا ألتزم فى أخذه من نحو القاموس أو تاجه: أن تكون نصا فى الضدية، سيراجع الدورق فى منهاجه من اعتبار العبارة الاشارية. ولا ألتزم أيضا الاستقصاء، فإنى إن رمته استعصى، كيف واللغة بعيدة الساحل، مديدة المراحل؟... ولكن ما جاء عفوا أخذته صفوا. ثم لا ترانى معاذ الله أعمد إلى مقام مشهور، مجته أسماع الجمهور، فأسود به وجه السطور، فذلك مما ينفر الطباع، ويكدر الأسماع. ويكون عارا لا يمحوه اعتذار ولا استشفاع، اللهم إلا إن كان من الحقوق الواجبة، أو سيق لمناسبة، أو نكتة مناسبة، فالشىء بالشىء، والشمس بالفىء، فهذا لا أتحاماه، بل أحمى حماه، وأتقى أذاه، إلى ما ستراه، إن شاء

الله، من الإلماع، بما يسحر الأسماع، من تحقيقات شريفة، وتدقيقات ظريفة.. تراها مرة شرعية، وكرة أدبية. وطورا يمانية، وحينا مَعدِّية... يرتاح إليها الفقيه ومن حذا حذوه، واللغوى ومن نحا نحوه..".

ودأب الرجل فى هذا الشرح على معالجة نص الناظم نحويا وعروضيا وتفسيره تفسيرا كاملا، وتناول كل ما عَنَّ له من مشاكل فى النص. فهو يقوم على طريقة المتون والشروح والحواشى التى كانت تسود العهود الأخيرة من تاريخنا. وصدّر كل باب بكلمة من عنوانه.

منبه الرقاد

تملك دار الكتب رسالة أخرى فى نظم الأضداد، تحت رقم ٣٢٩ لغة، باسم "منبه الرقاد فى ذكر جملة من الأضداد" لا يُعرَف مؤلفها. وقد تم نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثلاث مئة وألف، كما فى آخرها.

وتختلف هذه القصيدة عن السابقة فى عدة مظاهر، أولها أن هذه من المزدوج الذى يقفّى شطراه وحدهما، وتختلف القافية فى الأبيات بعد ذلك. أما السابقة فكانت من بحر البسيط، والتزمت فى رويها الميم المشبعة الفتحة. واتفق الاثنان فى الابتداء بمقدمة شرح كل منهما فيها منهجه. ولكن المنهجين لا يتفقان تماما. فقد صرح ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بأن قصده بها علمى هو تنبيه الغافلين والجاهلين ـ ومن ثم اسمها ـ على حين كان مقصد الإبيارى أدبيا علميا كما رأينا. يقول ناظمنا:

وبعد فالقصد بهذا النظم　　　تنبيه كل غافل وأُمى

سميته منبه الرقاد　　　فى ذكر جملة من الأضداد

وأراد ناظمنا ـ كما أراد الإبياري ـ الجمع. ورجع في سبيله إلى القاموس والصحاح وكتب ابن جني على حين رجع الإبياري إلى القاموس وشروحه. يقول الناظم في المقدمة:

أحسب ما وجدت منها مع قصور وغيبتي عن فنها مع الحضور

وأحسب هنا بمعنى أعد، ويقول في الخاتمة:

معتمدا ضبطي على القاموس لأنني في الفن كالبابوس

وفي الصحاح جاعلا مجنّي وربما أخذت في ابن جني

وجعل من خطته ذكر المشتقات المرتبطة بالأضداد وخاصة المصادر والصفات، على عكس الابياري يقول:

وربما أومي للاشتقاق والقيد إن كان وللإطلاق

وللمصادر فأضبط الكلم والوصف مع بعض اللغات المنبهم

وخصص الجزء الأخير من قصيدته للألفاظ المتماثلة ـ أي الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض حروفها بالإبدال ـ وبالمقلوبة، يقول:

وللمماثلين والمقلوب عونك يا مقلب القلوب

ولجأ في تقسيم قصيدته إلى التقسيم الذي ارتضاه صاحب القاموس، والأبياري. فالقصيدة مقسمة إلى أبواب بحسب الحرف الأخير من الأضداد التي يحتوي عليها كل باب، والألفاظ ترتب في داخل الأبواب بحسب حروفها الأولى، وأواسطها. ولكن الترتيب كثيرا ما أفلت منه في داخل الأبواب.

وختم القصيدة بخاتمة أشارت إلى انتهاء ما يريد نظمه، وأشياء من منهجه، والدعاء إلى الله أن يغفر ذنوبه، والصلاة على الرسول وآله وصحبه والتابعين.

وهذا باب الهمزة منه، يمثل تناوله ونظمه:

ثأثأ ذا إبلَه : أرواهـا	كـذا إذا أغـرى بهـا صَـداها
وثأثـات هـى : إذا مـا روِيـتْ	يوم ورودهـا، كـذا إن عطشـت
وجفـأ الـباب : إذا مـا أغلقـه	كـذا إذا فـتحه، فحققـه
دارأت ذا : دفعـته لشـره	كـذا إذا لاينـته لعسـره
رقـأ : أفسـد وأصـلح، خـذ	والمصـدر الـرقوء، والـرَّقْء انـبذ
والقـرء، بالفـتح وبالضـم أتـى	يكـون للحـيض وطهـر ثبـتا
ونـاء زيـد : خـفَّ أو قـد ثقـلا	فعجـز الحـال بـه بـين المـلا
ثـم الـوراء بهمـز لا اعـتلال	يكـون خلـف وأمـام تـالى
عكـس الـذى توهـم الإمـام	الجوهـرى العـالم الهمـام

ويتضح من هذه الأبيات أن الناظم خالف الإبيارى فى عدة مظاهر: أهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين فى كل لفظ، عدم التزام قافية واحدة فى جميع الأبيات، ثالثها الإشارة إلى المشتقات مثل مصدر الرقوء، رابعها الضبط واللغات فى القرء، خامسها نقد الجوهرى فى "وراء" إذ جعلها مع المعتل وأصلها الهمز، وقد أخذ هذا النقد من الفيروزآبادى، سادسها أنه يترك بعض الأضداد التى ذكرها الإبيارى، أى عناية الأخير باستقصاء الأضداد أشد من عناية صاحب "المنبه". ومن أهم أوجه الخلاف أيضًا شعور المرء ـ بأن قصيدة صاحب "المنبه" أشد سلاسة، وأعظم وضوحا، وأقل تكلفا من قصيدة الأبيارى.

وهناك أوجه خلاف أخرى لم تظهر فى الأبيات السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها، أهمها اهتمام صاحب "المنبه" بذكر المعانى التى لا تدخل فى المعنيين المتضادين للأضداد مثل قوله:

الأزر للضعف والقوة قل	وللإحاطة وللظهر نُقِل

فمعانى الشطر الثانى لا تدخل فى الأضداد، وقوله:

وبتر الرجل : أعطى ومنع	كذا إذا صلى الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين، وكذلك قوله:

والشسع ـ بالكسر ـ: قبال النعل ولقليل المال ثم الجل

فشسع النعل ليس من الأضداد. وأمثال ذلك كثيرة، ولم يعن الإبيارى بها.

ويعيب هذه القصيدة أمران: قلة الأضداد فيها عما فى الدورق، وكثرة الاضطراب فى الترتيب، كما يظهر فى باب الباء، والحاء والدال، والراء، والسين، والضاد، والعين وغيرها.